مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854

تاريخ استلام البحث: ٢٠٢١/٥/٢٣ تاريخ قبول النشر: ٢٠٢١/١٠/١٢

المرويات التاريخية للسيرة النورية في كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية لأبي شامة المقدسي(ت٦٦٥ هـ /١٢٦٧م)

Historical Accounts of the Nuri biography in the Book al-Rawdatain in the News of the Two States Al-Nuriyya and Al-Salih by Abu Shama Al-Maqdisi (665 AH / 1267AD)

م.د . قيس فتحي احمد

المديرية العامة لتربية نينوى

الاختصاص الدقيق:تاريخ اسلامي

M.D: Qais Fathi Ahmed
Directorate General of Education Nineveh
Specialization:Islamic History

أ.م.د. نشوان محمد عبدالله

قسم التاريخ/كلية الآداب/جامعة الموصل

الاختصاص الدقيق: تاريخ اسلامي

M.D:Nashwan Mohammed Abdulla
University of Mosul/Faculty of Arts /History Department
Specialization:Islamic History

ISSN. 1815-8854

المستخلص

تعد الروايات التاريخية الخاصة بسيرة نور الدين محمود بن زنكي التي نقلها المؤرخ أبي شامة المقدسي (ت٦٦٥ هـ /١٢٦٧م) من خلال كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) من اهم ما نقل عن سيرة هذا المجاهد فقد ضمت العديد من الروايات التاريخية التي تنوعت بين روايات خاصة بحياته ونشأته من حيث اسمه ونسبه ،أهم صفاته الشخصية ومابين روايات اشارت الى جهاده وفتوحاته وادارته وانجازاته المختلفة التي منها العمرانية والاقتصادية والى غير ذلك من تلك الانجازات الكثيرة .

وقد هدف البحث الى ابراز تلك المنجزات الكثيرة التي حفلت بها حياة نور الدين محمود بن زنكي ودوره في قيادة الامة في فترة زمنية شهدت اوج الصراع الصليبي الاسلامي ولتأسس لمرحلة قادمة يمكن تسميتها بمرحلة الفتح والانتصار ووحدة الامة العربية والاسلامية .

وكما تناول البحث نبذة مختصرة عن حياة ابي شامة المقدسي وجهوده في كتابة التاريخ والموارد والمصادر التاريخية التي اعتمدها في ذكر رواياته المختلفة عن سيرة نور الدين محمود زنكي التي تعد من أوسع الكتب التي أرخت لدولة نور الدين محمود ، وما تخللتها من انجازات وبناء للدولة رغم صراعه وحروبه مع الصليبيين في وقت كان الصراع فيه على أشده.

الكلمات المفتاحية: المرويات. سيرة . نور الدين . الحكم .سياسة.

Abstract

The historical accounts related to the biography of Nur al-Din Mahmoud bin Zangi, which was transmitted by the historian Abu Shama al-Maqdisi (d. 665 AH / 1267 AD) through his book (Al-Rawdatain fi Akhbar Al-Dawlat Al-Nuriya wa Al-Salihiyah) are among the most important of what was reported on the biography of this Mujahid, as it included many historical accounts that varied between Narratives about his life and upbringing in terms of his name and lineage, his most important personal characteristics, and between accounts that refer to his jihad, his conquests, his management, and his various achievements, including urban and economic, and many other such achievements

The aim of the research was to highlight those many achievements that were celebrated in the life of Nur al-Din Mahmoud bin Zangi and his role in leading the nation in a period of time that witnessed the height of the Islamic Crusade conflict and to establish a future stage that can be called the stage of conquest, victory and the unity of the Arab and Islamic nation.

The research also dealt with a brief summary of the life of Abu Shama al-Maqdisi and his efforts in writing history and the historical resources and

ISSN. 1815-8854
sources that he relied on in mentioning his various novels on the biography of Nur al-Din Mahmoud Zangi, which is one of the most extensive books that chronicled the state of Nur al-Din Mahmoud, and its achievements and state-building despite his struggle and wars With the Crusaders at a time when the conflict was most intense.
Keywords: Nariates. Biography. Noureddine. Judgment. Politics.

المدخل

هدف البحث دراسة الروايات التاريخية الخاصة بالسيرة النورية التي ضمها كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) لمؤلفه أبي القاسم شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي المعروف بأبي شامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) من أوسع الكتب التي أرخت لدولة نور الدين محمود، ، وما تخللها من حروب مع الصليبيين ألفه أبوشامة (ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م) في وقت كان الصراع فيه على أشده، وكأنه أراد أن يقول لأبناء عصره المتناحرين الذين خضعوا واستكانوا " إن الناس لا تنظر إلا للعظماء، ولا تلتفت إلا للنبغاء، ولا تتشوق إلا لمعرفة أخبار الخالدين" .

وتأتي اهمية البحث في البحث عن تلك الروايات التاريخية التي نقلها لنا ابي شامة في كتابه حيث نقل لنا شواهد عصر نور الدين وطبيعة الاحداث التي وقعت وما شهده حكمه من انجازات عديدة ساقها في تلك الروايات التي تكلم فيها عن حياة نور الدين محمود زنكي.

وقد اعتمد الباحث في إيراد المرويات التاريخية الخاصة بسيرة الشهيد نور الدين محمود زنكي على النسخة المطبوعة التي نشرتها دار ومؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع التي مقرها في بيروت التي تعد الطبعة الاولى لها ويعود تاريخها لسنة (١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م) والتي عمل على تحقيقها الاستاذ(إبراهيم الزيبق)، وهي تقع في اجزاء ، اذ يبدأ الجزاء الاول بكلمة المؤلف ويراده اسباب وضعه للكتاب والمعلومات التي استقاها وجمعها ومصادرها وبين سبب تسميته للكتاب وغير ذلك ثم يبدأ بأحداث الدولة الزنكية وإيراد سيرة الشهيد نور الدين ويتدرج بإيراد الأخبار بصورة فصول فيقول مثلا فصل الدولة النورية فيورد اسم نور الدين زنكي وألقابه و ينتهي الجزاء الاول بأحداث سنة (٥٦٠هـ/١١٦٤م) ويبدأ الجزاء الثاني بأحداث سنة (٥٦١هـ/١١٦٥م) وينتهي بأحداث سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) ويبدأ الجزاء الثالث بتكملة احداث سنة (٥٧٤هـ/١١٧٨م) وينتهي بالأحداث المتبقية من حوادث سنة(٥٨٣هـ) ويبدأ الجزاء الرابع بأحداث سنة (٥٨٤هـ/١١٨٨م) وينتهي بأحداث سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، وهذا التقسيم المذكور جاء وفق السياق الزمني للأحداث التاريخية التي تناولها أبي شامة في كتاب (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية).

ISSN. 1815-8854

اولاً: التعريف بالمؤلف وكتابه

١- نبذة عن سيرة ابي شامة (٥٩٩ – ٦٦٥ هـ / ١٢٠٢ – ١٢٦٧ م)

هو الشيخ شهاب الدين أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر بن عباس أبو مُحَمَّد وأبو القاسم المقدسي الشيخ الإمام العالم الحافظ المحدث الفقيه المؤرخ المعروف بأبي شامة ولُقب بابي شامة، لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر (ابن كثير،١٩٨٨، ج١٣، ص ٢٩٠؛ الزركلي،٢٠٠٢،ج٣،ص٢٩٩)أصله من القدس ومولده في دمشق، وبها منشأه ووفاته ولد ليلة الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة (٥٩٩هـ/١٢٠٢م)، رغب بالعلم وأجتهد في تحصيله فتفقه على عديد من المشايخ حتى برع واصبح من اهل العلم فعرف عنه تنوع معارفه وفنونه العلمية حتى بلغ بعلمه مرتبة الاجتهاد والتفرد فضلاً عن حبه للشعر والنظم فيه حتى عدا لأجل كل ذلك من نوادر عصره في العلم والتحصيل(ابن كثير،١٩٨٨، ج١٣، ص ٢٩١)

وهذا ما اهله ان يتولى ولاية مشيخة دار الحديث الأشرفية (أنشأها الملك الأشرف مظفر الدين موسى بن الملك العادل أبو بكر بن أيوب (ت٦٣٥هـ/١٢٣٧م)بدمشق وتم افتتاحها في ليلة النصف من شعبان سنة (٦٣٠هـ/١٢٣٢م) وموقعها المجاورة لقلعة دمشق) (الذهبي ، ١٩٩٦ ،ج٤٥،ص٥٢؛ ابن كثير،١٩٨٨، ج١٣، ص ١٥٨؛ ابن طولون،١٩٨٠،ج ٢،ص١٥٥) وذلك في جمادى الآخرة سنة (٦٦٢هـ/١٢٦٣م) (الذهبي ، ١٩٩٦ ،ج٤٩،ص١٠؛ ابن كثير،١٩٨٨، ج١٣، ص ٢٨١) والمدرس الركنية (انشأ المدرسة الركنية الأمير ركن الدين منكورس الفلكي غلام فلك الدين اخو الملك العادل إذ أنشأها بسفح جبل قاسيون بدمشق، ووقف عليها أوقافا كثيرة وعمل عندها تربة دفن فيها عند وفاته)(ابن كثير، ١٩٨٨، ج١٣، ص ١٦٥، ٢٩٠؛ النعيمي ،١٩٩٠،ج١،ص١٩٠)، اما في مجال التأليف فله عديد من المصنفات منها كتاب (اختصار تاريخ دمشق في مجلدات كثيرة) ، و(شرح الشاطبية) ، و(الرد إلى الأمر الأول)، و(المبعث وفي الإسراء والمعراج)، وكتاب (الروضتين في الدولتين النورية والصلاحية)، وله الذيل غير ذلك (ابن كثير،١٩٨٨، ج١٣،٢٩٠؛ العليمي،١٩٩٩م،ج١، ص١٤)سماه ناشره (تراجم رجال القرنين السادس والسابع) و (الباعث على إنكار البدع والحوادث) و(كشف حال بني عبيد) الفاطميين و كتاب (الوصول في الأصول) و (مفردات القراء) و (نزهة المقلتين في أخبار الدولتين) بلغ فيه إلى حوادث سنة(٦٥٩هـ/١٢٦٠م) ، وقبل وفاته وقف كتبه ومصنفاته جميعها على الخزانة المدرسة العادلية بدمشق، فأصابها حريق التهم أكثرها (الزركلي، ٢٠٠٢ ،ج٣،ص ٢٩٩)كانت وفاته في ليلة الثلاثاء تاسع عشر من شهر رمضان سنة (٦٦٥ هـ / ١٢٦٧ م) ، اذ دخل عليه اثنان الى منزله فضرباه ضربا مبرحا تمرض على أثره ومات وقد دفن بمقابر دار الفراديس، وله من العمر ست وستون سنة (ابن كثير، ١٩٩٨ ،ج ١٣،ص٢٩١؛ ابن تغري بردي، د. ت، ج٧، ص٢٢٤؛ النعيمي،١٩٩٠،ج١، ص ١٨؛ العليمي، ١٩٩٩،ج١، ص ١٤؛ الزركلي، ٢٠٠٢،ج٣، ص ٢٩٩)

ثانياً: اهمية التاريخ عند ابو شامة وموارده في كتابة سيرة نور الدين محمود

ISSN. 1815-8854

ذكر ابو شامة اهمية علم التاريخ فقال:" وإن الجاهل بعلم التاريخ راكب عمياء خابط خبط عشواء ينسب إلى من تقدم أخبار من تأخر ويعكس ذلك ولا يتدبر وإن رد عليه وهمه لا يتأثر وإن ذكر فلجهله لا يتذكر لا يفرق بين صحابي وتابعي وحنفي ومالكي وشافعي ولا بين خليفة وأمير وسلطان ووزير ولا يعرف من سيرة نبيه (ﷺ)أكثر من أنه نبي مرسل فكيف له بمعرفة أصحابه وذلك الصدر فأخذتها بعلم أخبار الأنام وتصحيح نسبتها وإيضاح محجتها فإن كثيرا ممن يحفظ شيئا من الوقائع يفوته معرفة نسبتها إلى أربابها وإن نسبها خلط فيها وصرفها عن أصحابها وهو باب واسع غزير الفوائد صعب المصادر والموارد زلت فيه قدم كثير من نقلة الأخبار ورواة الآثار" (ابو شامة، ١٩٩٧، ج١، ص ٢٤، ٢٥) وكأن ابي شامة ارد بذلك النص البوح بان الذي لا يعلم بالتاريخ ومجرياته وحافظ لأحداثه كأنه جاهل لا يدرك عظيم فائدته وينكر على غيره عدم المعرفة التي تعد الاساس في البحث والكلام عن الماضي وربطه بالحاضر .

وبعد إيراده لأهمية التاريخ يسوغ ابي شامة سبب وضع كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية)فيقول :" أردت أن أجمع من هذا العلم كتابا يكون حاويا لما حصلته وأتقن فيه ما خبرته" ويذكر ابو شامة موارده في الكتابة ومصادر معلوماته في متن حديثه عن وضع مؤلفه انه استند في جمع مادته واخباره والاحداث التي اوردها الى مجموعة مصادر يذكرها واعطى ايجازاً عنها وعن اهميتها وما ذلك الا اثبات بصدق سيرته وحسن اخلاقه وعدم نسب ما اورده اليه بل من باب الامانة العلمية والدينية انه نبه القارئ ان ماتم جمعه من المعلومات استقاها من مصادر عديدة فيذكر:" فعمدت إلى أكبر كتاب وضع في هذا الفن على طريقة المحدثين وهو تاريخ مدينة دمشق حماها الله عز وجل الذي صنفه الحافظ الثقة أبو القاسم على بن الحسن العساكري(ت ٥٧١هـ/١١٧٥م) رحمه الله وهو ثماني مئة جزء في ثمانين مجلدا فاختصرته وهذبته وزدته فوائد من كتب أخرى جليلة وأتقنته ووقف عليه العلماء وسمعه الشيوخ والفضلاء ومر بي فيه من الملوك المتأخرين ترجمة الملك العادل نور الدين فأطربني ما رأيت من آثاره وسمعت من أخباره مع تأخر زمانه وتغير خلانه " (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٢٥، ٢٦)

ثم ذكر انه أفاد من كتاب ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي (ت٥٥٥هـ/١١٦٠م) في مذيل التاريخ الدمشقي في يراد الاخبار من أوائل الدولة النورية إلى سنة (٥٥٥هـ/١١٦٠م)، وأفاد من كتب الأصفهاني(ت ٥٩٧هـ/١٢٠٠م) ، الفتح القدسي، وكتاب البرق الشامي، ذكر فيه الوقائع والحوادث من الغزوات والفتوحات الدولة النورية وانه اطلع على كتب ، الكامل في التاريخ والباهر لابن الأثير(ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، ونقل منه اخبار الأتابكية وما جرى فيها ، وكذلك اطلع على كتاب النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)لابن شداد (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، قاضي حلب ونقل من كتبه (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٢٨، ٢٩،٣٠)

فضلاً عن ذلك ذكر ابو شامة انه اطلع على رسائل و اشعار وكتب أخر كما انه سمع من " أفواه الرجال الثقات ومن المدركين لتلك الأوقات فاختصرت جميع ما في ذلك من أخبار الدولتين وما حدث في مدتهما من وفاة خليفة أو وزير أو أمير كبير أو ذى قدر خطير وغير ذلك فجاء مجموعا لطيفا وكتابا ظريفا يصلح لمطالعة الملوك والأكابر من ذوي المآثر والمفاخر ثم ذكر اسم الكتاب فقال :"وسميته ((كتاب الروضتين في أخبار الدولتين)) " ثم يورد بيت شعر يقول فيه:

ISSN. 1815-8854

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٣١)

اولاً: نور الدين محمود زنكي سيرته وحياته وملامح شخصيته

١ – اسمه وولادته ونشأته:

لقد خصص ابا شامة فقرة خاصة في كتابه تناول فيها اسم وولادة ونشأة نور الدين محمود مع ايراده لما عرف من القابه التي كان يتلقب بها :

فهو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن عماد الدين (هو عماد الدين زنكي بن اقسنقر بن عبد الله ، فوض إليه السلطان محمود بن مُحَمَّد بن ملكشاه السلجوقي ولاية بغداد سنة (٥٢١هـ/١١٢٧م) ثم ولاه الموصل في السنة نفسها فأسس الدولة الاتابكية ، وعرف عنه الشجاعة ومقاومة الإفرنج فتح العديد من البلاد منها الرها) (ابن الأثير ، ١٩٩٤،ج ٩، ص ٣٢٩ ؛ ابن خلكان ،١٩٧١، ج٢، ص٣٢٧) وهو أبو سعيد زنكي بن قسيم الدولة آق سنقر التركي ويلقب زنكي أيضا بلقب والده قسيم الدولة ويقال لنور الدين ابن القسيم الشهيد (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص٢٧، ٣١؛ الذهبي،١٩٩٢،ج٢٠، ص ٥٣١؛ الطرسوسي، د. ت، ص٩٣) وقد سمي بالشهيد لأنه مات بعلة الخوانيق – الدفتريا – بعد جهاد طويل (الطرسوسي، د. ت، ص٩٣) هكذا تم ذكره عند ابي شامة وغيره من المصادر التاريخية.

اما عن ولادة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى فقد ولد يوم الأحد المصادف السابع عشر من شهر شوال سنة(٥١١ هـ/١١١٧م) بمدينة بحلب (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٢، ١٠٧؛ الطرسوسي، د. ت، ص٩٣؛ابن الاثير، ١٩٩٤،ج ٩، ص ٣٩٤؛ الذهبي، سير ١٩٨٦،ج٢٠، ص٥٣١)نشاء نور الدين محمود زنكي في كنف والده فقد تربى في طفولته تحت رعاية وإشراف والده الذي كان يقدمه على إخوانه ولما جاوز الصبا لزم والده حتى مقتله سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) وقد تعلم كثير من والده الذي كان بالعراق ثم ولي ديار الموصل والبلاد الشامية (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٣٢) فحفظ القرآن الكريم وتفقه في الدين على المذهب الحنفي، (الطرسوسي، د. ت، ص٩٣) واشتهر عنه انه كان حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية متبعا للآثار النبوية مواظبا على الصلاة عاكفا على تلاوة القرآن الكريم حريصا على فعل الخير مقتصدا في الإنفاق متحريا في المطاعم والملابس، لم تسمع منه كلمة فحش في رضاه ولا في ضجره وأشهى ما إليه كلمة حق يسمعها أو إرشاد إلى سنة يتبعها (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١،٣٣)فقيهاً زاهداً، عالماً، مجاهداً ، متواضعاً يصل إليه الضعيف والمظلوم حتى قيل عن سيرته انها من اجل سير الملوك المتقدمين (الطرسوسي، تحفة الترك ، ص ٩٣) اما عن وصفه فذكر ابو شامة نقلاً عن ابن الاثير قوله :" انه كان أسمر طويل القامة، ليس له لحية إلا في حنكه، وكان واسع الجبهة حسن الصورة حلو العينين " (ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص٣١١) وبحق كانت مسيرته وشبابه في فترة تولى والده حكم الموصل من(٥٢١هـ –٥٤١ هـ/١١٢٧–١١٤٦م)بمثابة مدرسة شاملة لأنواع المعارف

ISSN. 1815-8854

الإنسانية المختلفة في مجالات العلوم السياسية والإدارية والعسكرية بالإضافة إلى العلوم الشرعية الدينية وقد جمعت مدرسة الحياة الكبرى التي عاش فيها نور الدين بين الأسلوب النظري والتطبيقي(الصلابي، ٢٠٠٧، ص ١٦٤)

٢- زواجه وأولاده:

تزوج نور الدين سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) من عصمت الدين خاتون(هي عصمت الدّين خاتون بنت الأمير معين الدّين أنر زوجة نور الدّين ثم صلاح الدّين، وواقفة المدرسة الخاتونية الجوانية بدمشق للحنفية، وبنت خانقاه للصوفية على الشرف القبلي خارج باب النصر، وبنت تربة بقاسيون، وأوقفت على هذه الأمكنة أوقافا كثيرة كانت وفاتها في رجب سنة (٥٨٠هـ/١١٨٤م) دفنت في التربة التي بنتها لها بقاسيون)(الذهبي ، ١٩٨٤،ج٤، ص ٢٤٥؛ ابن تغري بردي، د. ت، ج ٦، ص ٩٩؛ ابن العماد الحنبلي ، ١٩٩٢،ج٦، ٤٤٦، ٤٤٧؛ بدران ، ١٩٨٥، ص١٦٩؛ النعيمي ،١٩٩٠،ج١، ص ٣٨٨) ابنة الأتابك الأمير معين الدين(هو الأمير معين الدين أنر بن عبد الله الطغتكيني مقدم عسكر دمشق ومدبر الدولة كان عاقلا شجاعاً مدبرا كثير الصدقات عالي الهمة كان مدبر دولة أولاد أستاذه الأتابك طغتكين، والحاكم لدمشق، والآمر لها ،اصابه مرض في الكبد كان سبب وفاته في ليلة الثالث والعشرين من ربيع الآخر سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م) ودفن في إيوان الدار الأتابكية التي كان يسكنها ثم نقل بعد ذلك إلى المدرسة التي عمرها بالمدرسة المعينية) (ابو شامة ،١٩٩٧،ج١، ص ٢٢٢؛ ابن الاثير، ١٩٩٤،ج ٩، ص١٧٤؛ الذهبي ، ١٩٨٦،ج٣٧، ٢٣؛ الذهبي ، ١٩٨٤ ،ج٤، ص ١٢١؛ابن تغري بردي ، د. ت،ج٥، ص ٢٨٦؛ الصفدي ،٢٠٠٠م،ج٩، ص ٢٣٤؛ العمري،٢٠١٠،ج٢٧، ص٣٥؛ ابن العماد الحنبلي، ١٩٩٢،ج٦، ص٢٢٦) حاكم دمشق، بعد أن ترددت المراسلات بين الرجلين واستقرت الحال بينهما ، وكتب كتاب عقد الزواج في دمشق، بحضور رسل نور الدين في سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) وما أن تم إعداد الجهاز حتى عاد الوفد الى حلب وبصحبة ابنة معين الدين فذكر ابو شامة : ":وفي آخر صفر تزوج السلطان بالخاتون المنعوتة عصمة الدين بنت الأمير معين الدين أنر" (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج ٢، ص٤٣١) وذكر الذهبي انه في سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) كان الزواج فيقول :"وفيها تزوج الملك نور الدين بالخاتون ابنة الأتابك معين الدين أنر، وأرسلت إليه إلى حلب" (الذهبي،١٩٨٦،ج٣٧،ص١١) والاقرب للصحة ما اتفقت عليه المصادر ان الزواج كان في(٥٤١هـ/١١٤٦م).

وذكرت المصادر التاريخية التي ترجمت لعصمت خاتون عديد من الصفات الحميدة التي تدل على تدينها وعفتها فذكر عنها ابو شامة فقال:" وهي من أعف النساء وأعصمهن وأجلهن في الصيانة وأحزمهن مستمسكه من الدين بالعروة الوثقى ولها أمر نافذ ومعروف وصدقات ورواتب للفقراء إدرارات وبنت للفقهاء والصوفية بدمشق مدرسة ورباطا" (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج٣، ص٢٤٣)حتى عرف عنها التقوى والدين فكانت تكثر القيام في الليل، حتى قيل انها في احدا الايام ونامت ليلة عن وردها الليلي فأصبحت وهي غضبى، فسألها نور الدين عن أمرها، فذكرت نومها الذي فّوت عليها وردها، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب الطبول في القلعة وقت السحر لتوقظ النائمين حينذاك للقيام، ومنح الضاربين أجراً جزيلاً (ابن كثير ،١٩٨٨،ج١٢، ص٣٤٥؛ الصلابي،٢٠٠٧ ، ص ١٦٥)، وقد ذكر ابن كثير في أحداث عام(

ISSN. 1815-8854

٥٦٣هـ/١١٦٧م) انه في شوال وصلت امرأة الملك نور الدين محمود زنكي إلى بغداد تريد أن تحجَّ من هناك، وهي السَّتُّ عصمت الدين خاتون بنت معين الدين أنُر، فتلقاها الجيش ومعهم الخدم، وحملت لها الإقامات وأُكرمت غاية الإكرام (ابن كثير ،١٩٨٨،ج١٢، ص٣١٦.ج ١٦، ص٤٢٥) وخلف نور الدين من زوجته عصمت الدين خاتون ابنة واحدة وولدين هما الصالح إسماعيل الذي تولى الحكم من بعده وتوفي شاباً لم يبلغ العشرين من العمر، من جراء مرض ألم به عام(٥٧٧هـ /١١٨١م) وأحمد الذي ولد بحمص عام (٥٤٧هـ /١١٥٢م) تم توفي في دمشق طفلاً (الصلابي، ٢٠٠٧، ص ١٦٥)

٣- عبادته وزهده وعدله:

أما زهده وعبادته وعلمه فإنه كان مع سعة ملكه وكثرة ذخائر بلاده وأموالها لا يأكل ولا يلبس ولا يتصرف فيما يخصه إلا من ملك كان له قد اشتراه (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص٣٣) اذ كان يميل إلى التواضع ومحبة العلماء وأهل الدين(ابن الجوزي، ١٩٩٢،ج١٨، ص٢٠٩، ٢١٠) ولم يلبس الملابس المصنوعة من الحرير او وضع الذهب بيده ومنع شرب الخمر وبيعها في جميع بلاده ومن إدخالها إلى البلد ،كان يتم فرض العقوبة الشرعية عليه ،وكان يصلي فيطيل الصلاة وله أوراد في النهار فإذا جاء الليل وصلى العشاء ونام يستيقظ نصف الليل ويقوم إلى الوضوء فيصلى كثيرا ويدعو ويستغفر ويقرأ إلى بكرة فيظهر للركوب ويشتغل بمهام الدولة(ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص ٣٦) ، فيكفي الاشارة الى مبلغ ذلك فيما رواه ابو شامة وذكره من أنه حمل إليه من مصر عمامة من القصب الرفيع مذهبة فلم يحضرها عنده فوصفت له فلم يلتفت إليها وبينما هم معه في حديثها وإذا قد جاءه رجل صوفي فامر بها له فقيل له إنها لا تصلح لهذا الرجل ولو أعطي غيرها كان أنفع له فقال أعطوها له فإني أرجو أن أعوض عنها في الآخرة فسلمت إليه فسار بها إلى بغداد فباعها بست مئة دينار أميري أو سبع مئة دينار (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص ٣٧)

ومن زهده ايضاً أنه أمر بإسقاط ألقابه في الدعاء على المنابر وإذا أراد الدعاء فيكتفي بقول :" اللهم أصلح عبدك الفقير إلى رحمتك الخاضع لهيبتك المعتصم بقوتك المجاهد في سبيلك المرابط لأعداء دينك أبا القاسم محمود بن زنكي بن آق سنقر ناصر أمير المؤمنين فكتب نور الدين على رأس الرقعة بخطه ألا يكذب على المنبر ،وكتب به نسخ إلى جميع البلاد وكتب في آخر الرقعة ثم يبدؤوا بالدعاء اللهم أره الحق حقا اللهم أسعده اللهم انصره اللهم وفقه " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص ٥٤، ٥٨)

واما عن عدل نور الدين محمود فقد كان يتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم والقوي والضعيف عنده في الحق سواء وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير ومن عدله ان قاضي دمشق بعث اليه يستدعيه الى مجلسه لشكوى بحقه فلما علم نور الدين ترك مابيده وسار إلى القاضي وهو حينئذ كمال الدين بن الشهرزوري وأرسل إلى القاضي يقول :"له إنني قد جئت محاكما فاسلك معي مثل ما تسلكه مع غيري فلما حضر ساوى خصمه وخاصمه وحاكمه فلم يثبت عليه حق وثبت الملك لنور الدين فقال نور الدين حينئذ للقاضي ولمن حضر هل ثبت له عندي حق قالوا لا فقال اشهدوا أنني قد وهبت له هذا الملك الذي قد حاكمني عليه وهو له دوني وقد

ISSN. 1815-8854

كنت أعلم أن لا حق له عندي وإنما حضرت معه لئلا يظن بي أني ظلمته فحيث ظهر أن الحق لي وهبته له قال ابن الأثير وهذا غاية العدل والإنصاف بل غاية الإحسان" (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٣٨،٣٩) وتكرر الأمر مرة ثانية في مدينة حلب إذ استدعى مجلس الحكم فذهب بنفسه ومثل امام القاضي ومتى ثبت الحق له عفى عنه واذا ثبت عليه اقره، ومن عدله انه لم يكن يعاقب العقوبة التي يعاقب بها الملوك على الظن والتهمة بل يطلب الشهود على المتهم فإن قامت البينة الشرعية عاقبه العقوبة الشرعية من غير تعد فدفع الله بهذا الفعل عن الناس من الشر ما يوجد في غير ولايته مع شدة السياسة والمبالغة في العقوبة والأخذ بالظنة وأمنت بلاده مع سعتها وقل المفسدون ببركة العدل واتباع الشرع المطهر قلت ومن عدله أن بنى دار العدل للنظر في المظالم (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٥٨) فلما اكتمل بناء دار العدل جلس نور الدين فيها للنظر في مظالم الناس إذ خص يومان للجلوس والنظر في المظالم وكان يحظر مجلسه القضاة والفقهاء ، وقد ذكر ان بناء دار العدل من قبل نور الدين كان بسبب ما وقع من مظالم من بعض الامراء فيقول ابو شامة :" أنه لما طال مقامه بدمشق وأقام بها أمراؤه ، واقتنوا الأملاك وأكثروا وتعدى كل واحد منهم على من يجاوره في قرية أو غيرها فكثرت الشكاوى إلى القاضي كمال الدين فأنصف بعضهم من بعض ولم يقدم على الإنصاف البعض الاخر فوصل الخبر الى مسامع نور الدين فأمر ببناء هذه الدار لرفع المظالم عن الناس (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص ٤١،٤٢) وما يدل ذلك الا عن عدله ومبلغ جهده في رفع الظلم ورد المظلمات والضرب على يد الظالم.

٤- مجلسه وهيبته :

عرف عن مجلس نور الدين محمود زنكي انه كان مجلس ذو هيبة ووقار كبير فذكر ابو شامة مجلسه فيقول :"واجتمع له ما لم يجتمع لغيره فإنه ضبط ناموس الملك مع أجناده وأصحابه إلى غاية لا مزيد عليها وكان يلزمهم بوظائف الخدمة الصغير منهم والكبير ولم يجلس عنده أمير من غير أن يأمره بالجلوس، وكان مع هذه العظمة وهذا الناموس القائم إذا دخل عليه الفقيه أو الصوفي أو الفقير يقوم له ويمشي بين يديه ويجلسه إلى جانبه كأنه اقرب الناس إليه وكان إذا أعطى أحدهم شيئا يقول إن هؤلاء لهم في بيت المال حق فإذا قنعوا منا ببعضه فلهم المنة علينا ، وأما هيبته ووقاره فإليه النهاية فيهما ولقد كان كما قيل شديد في غير عنف رقيق في غير ضعف" (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٤٨) وكان مواظب على عقد مجالس الوعاظ ويطلب بإحضار الفقهاء وكبار العلماء اليه لحضور مجالس الوعظ(ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٥٢) حتى ان الحافظ ابن عساكر الدمشقي إذ يصف مجلس نور الدين فيقول:"كنا نحضر مجلس نور الدين فكنا كما قيل كأنما على رؤوسنا الطير تعلونا الهيبة والوقار فإذا تكلم أنصتنا وإذا تكلمنا استمع لنا" (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٤٨،٤٩)

٥- وفاته

اجمعت المصادر التاريخية ان وفاة نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله تعالى كانت يوم الأربعاء الحادي عشر من شهر شوال سنة (٥٦٩ هـ/١١٧٣م) بعد ان حكم ثمان وعشرون سنة امتدت من سنة (٥٤١ -٥٦٩ هـ/١١٤٦م - ١١٧٣م) ،وكانت سبب الوفاة مرض اصابه عجز الأطباء عن علاجها يعرف بالخوانيق (الطرسوسي، د. ت ، ص٩٣؛

ISSN. 1815-8854

ابن شداد، ١٩٩٤، ص ٨٨؛ ابن العبري،١٩٩٢، ص٢١٥)إذ مات على اثره ودفن بقلعة دمشق، ونقل منها إلى المدرسة النورية التي أنشأها بدمشق، عند سوق الخواصين(ابن الاثير، ١٩٩٤،ج ٩، ص ٣٩٣) وتذكر المصادر ان " نور الدين قد شرع بتجهيز المسير إلى مصر لأخذها من صلاح الدين لأنه رأى منه فتورا عن غزو الفرنج من ناحيته فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب العساكر ليتركها بالشام لمنعه من الفرنج ليسير هو بعساكره إلى مصر وكان نور الدين لا يرى إلا الجد في غزوهم بجهده وطاقته فلما رأى إخلال صلاح الدين بالغزو فتجهز للمسير إليه فأتاه أمر الله الذي لا يرد (ابو شامة ، ١٩٩٧ ، ج٢،ص ٣١٠؛ ابن شداد، ١٩٩٤، ص٨٨) وأقام مقامه ولده الملك الصالح إسماعيل(ابن شداد، ١٩٩٤، ص٨٨) وكانت ولايته ثمانية وعشرين سنة وأشهرا(ابن الجوزي، ١٩٩٢،ج١٨، ص٢٠٩، ٢١٠) وكان سيرته اصلح من كثير من الولاة، والطرق في أيامه آمنة والمحامد له كثيرة وعزم على فتح بيت المقدس لولا ان المنية سبقته(ابن شداد ، ١٩٩٤، ص ٨٨؛ ابن الجوزي، ١٩٩٢،ج١٨،ص٢٠٩، ٢١٠).

ثانياً: توليه الحكم

عندما قتل عماد الدين زنكي سنة (٥٤١ هـ/١١٤٦م) كان ابنه الأكبر سيف الدين غازي(هو سيف الدين غازي بن أتابك زنكي صاحب الموصل ولد سنة (٥٠٠هـ/١١٠٦م) كان كريما شجاعا عاقلا، بنى المدرسة الأتابكية العتيقة بالموصل، وهي من أحسن المدارس، ووقفها على الفقهاء الحنفية والشافعية، وبنى رباطا، اصابه مرض توفي على اثره في أواخر جمادى الآخرة سنة (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرا وعشرين يوما ،ودفن بالمدرسة التي بناها بالموصل، وخلف ولدا ذكرا، فرباه عمه نور الدين محمود، وأحسن تربيته، وزوجه ابنة أخيه قطب الدين مودود)(ابن الاثير، ١٩٩٤،ج٩،ص١٦٦) مقيماً بشهرزور (، شهر ، كلمة فارسية تعني مدينة ، وشهرزور : هي مدينة صغيرة في الجبال بين إربل وهمذان، تحيط بها جبال لا يكاد يوجد فيها فضاء كبير لا يرى منه جبل، يحيط بها سور يبلغ سمكه ثمانية أذرع، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد، وأكثر أمرائهم منهم، ولهم به مزارع كثيرة، فتحت شهرزور سنة (٢٢هـ /٦٤٢م)،على يد القائد عتبة بْن فرقد السلمي (ت بحدود ٥٠هـ /٦٧٠م)، في خلافة عمر بن الخطاب (ﷺ)، إذ كتب إِلَى عُمَر(ﷺ):(أني قَدْ بلغت بفتوحي أذربيجان فولاه إياه) ولم تزل شهرزور، وأعمالها مضمومة إِلَى الموصل حَتَّى فرقت في آخر خلافة هارون الرشيد(ت١٩٣هـ /٨٠٨م)،حيث جعلت ولاية مستقلة) (البلاذري ، ٢٠٠٠ ، ص٣٢٥؛ ابن الاثير، ١٩٩٤، ج٢، ص٤١٨؛ ياقوت الحموي ، ١٩٧٧،ج ٣، ص ٣٧٥) وهي إقطاعه من قبيل أبيه بينما كان نور الدين محمود وهو الابن الثاني لعماد الدين مع أبيه عند قلعة جعبر (قلعة على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين، وكانت قديما تسمى دوسر فملكها رجل من بني قشير أعمى يقال له جعبر بن مالك وكان يخيف السبيل ويلتجئ إليها، فنسبت إليه)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٢، ص ١٤١، ١٤٢؛ البغدادي، ١٩٩٢،ج١، ص٣٣٥) وبعد أن شهد مصرع أبيه أخذ خاتمه من يده وسار ببعض العساكر إلى حلب، فملكها هي وتوابعها في ربيع الآخر سنة(٥٤١هـ/١١٤٦م) (ابن العديم ،١٩٩٦،ج٢، ص ٢٨٥؛ الطرسوسي، د. ت ، ص٩٣) وذكر أبو شامة :"فلما

ISSN. 1815-8854

انقضى أجل زنكي قام ابنه نور الدين مقامه " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص ٣٢) وكان عمره ثلاثون سنة(ابن الأثير ، ١٩٩٣، ص ٧١ ،٧٢)

دخل نور الدين حلب سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) فذكر: "وملك الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن زنكي بن أق سنقر حلب، عند ذلك في شهر ربيع الآخر يوم الثلاثاء عاشر الشهر، سنة إحدى وأربعين وخمسمائة" (ابن العديم،١٩٩٦،ص ٣٢٩)انقسمت الدولة الزنكية بعد مقتل مؤسسها عماد الدين بين ولديه سيف الدين غازي الذي حكم الموصل والجزيرة ونور الدين محمود الذي حكم مدينة حلب وما جاورها من مدن بلاد الشام أما أخوهما نصرة الدين أمير أميران فقد حكم حّران (حران: مدينة كبيرة مشهورة من اقليم جزيرة ، وهي قصبة ديار مضر، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل وبلاد الشام)(ياقوت الحموي،١٩٩٧،ج٢، س٢٣٥) تابعاً لأخيه نور الدين محمود، في حين كان الأخ الرابع قطب الدين مودود لا يزال في رعاية أخيه سيف الدين غازي بالموصل وإذ ان نهر الخابور هو الحد الفاصل بين أملاك الأخوين (الصلابي، ٢٠٠٧ ، ص ١٦٧) وتوسعت نفوذ نور الدين محمود ويذكر أبو شامة بعد ذلك عن مبلغ ما وصل اليه نفوذه وسيطرته انه :" ملك الموصل وديار الجزيرة وأطاعه أصحاب ديار بكر وملك الشام والديار المصرية واليمن وخطب له بالحرمين الشريفين مكة والمدينة وطبق الأرض ذكره بحسن سيرته وعدله ولم يكن مثله إلا الشاذ النادر رحمة الله تعالى عليه"(ابو شامة، ١٩٩٧ ، ج٢، ص ٣١٢)

ثالثاً:– ادارته وجهاده وشجاعته في التصدي للصليبيين:

ا– ادارته

ظهرت المقدرة والحنكة السياسية لنور الدين محمود فيما وجدناه من العناية بجنوده وأمرائه والتي تعكس البعد الاداري والحكمة في القيادة وخير دليل على ذلك ما ذكره أبو شامة في حديثه عن اسلوب تعامله وأدارته فذكر :" انه كان يوقر قادته وامراءه في حياتهم وفي مماتهم وحرصه على الاخذ بآرائهم ومشورتهم ان كانت صائبة حسنة وكان من أحسن تصرفه مع أجناده من امراء وقادة إنه كان "إذا توفي أحدهم وخلف ولدا أقر الإقطاع عليه فإن كان الولد كبيرا استبد بنفسه وإن كان صغيرا رتب معه رجلا عاقلا يثق إليه فيتولى أمره إلى أن يكبر فكان الأجناد يقولون هذه أملاكنا يرثها الولد عن الوالد فنحن نقاتل عليها وكان ذلك سببا عظيما من الأسباب الموجبة للصبر في المشاهد والحروب وكان أيضا يثبت أسماء أجناد كل أمير في ديوانه وسلاحهم وما هو مقرر عليه من العدد ويطلب ان يكونوا في تجهز كامل ونفير دائم لمواجهة الاعداء (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٤٤)

ولانور الدين محمود وكان له اهتمام كبير بمسالة الاخبار والرسائل واهمية ربط ولاياته جميعاً التي يحكمها بنظام اداري دقيق لاسيما بعد اتساعها بحيث يعمل على نقل المعلومة الى المركز بأسرع وقت للاطلاع عليها ومن ذلك ما تم ذكره ،بأنه اتخذ الحمام كوسيلة للمواصلات ونقل الاخبار ففي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) أمر الملك العادل نور الدين باتخاذ الحمام الهوادي ،" وهي المناسيب التي تطير من البلاد البعيدة إلى أوكارها فاتخذت في سائر بلاده وكان سبب ذلك أنه

ISSN. 1815-8854

اتسعت بلاده وطالت مملكته لا يتخللها سوى بلاد الفرنج وكان الفرنج لعنهم الله ربما نازلوا بعض الثغور فإلى أن يصله الخبر ويسير إليهم يكونون قد بلغوا بعض الغرض فحينئذ أمر بذلك وكتب به إلى سائر بلاده وأجرى الجرايات لها ولمربيها فوجد بها راحة كبيرة كانت الأخبار تأتيه لوقتها لأنه كان له في كل ثغر رجال مرتبون ومعهم من حمام المدينة التي تجاورهم فإذا رأوا أو سمعوا أمرا كتبوه لوقته وعلقوه على الطائر وسرحوه فيصل إلى المدينة التي هو منها في ساعته فتنقل الرقعة منه إلى طائر آخر من البلد الذي يجاورهم في الجهة التي فيها نور الدين وهكذا إلى أن تصل الأخبار إليه فحفظ الثغور " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ٢، ص ٢٢٩ ،٢٣٠)، وذكر ابن الاثير :" اتخذ نور الدين بالشام الحمام الهوادي، وهي تطير من البلاد البعيدة إلى أوكارها، وجعلها في جميع بلاده، ليصل الخبر إليه في يومه، وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها وإقامتها، فحصل منها الراحة" (ابن الاثير، ١٩٩٤ ،ج ٩، ٣٧٠)

فذكر إن بعض عساكر الفرنج نازلوا ثغرا له فأتاه خبر ذلك في يومه بواسطة الحمام المستخدم فكتب إلى العساكر المجاورة لذلك الثغر بالاجتماع والمسير بسرعة والتصدي للعدو ففعلوا ذلك وهزم الفرنج بسبب سرعة التجهيز والتجمع للمسلمين في الوقت المناسب" (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج ٢، ص٢٢٩ ،٢٣٠) وهكذا كان الأمر مع طير الهوادى فإذا رأوا من العدو أحدا أرسلوا الطيور فأخذ الناس حذرهم واحتاطوا لأنفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من ألطف الفكر وأكثرها نفعا (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٦)

ب- جهاده وشجاعته في التصدي للصليبيين

تميز نور الدين زنكي بعديد من الصفات الشخصية والتي جعلت منه مضرباً للأمثال إذ تأتي في مقدمة تلك الصفات شجاعته وجهاده ضد الصليبيين فيذكر ابو شامة عن شجاعته :"وأما شجاعته وحسن رأيه فقد كانت النهاية إليه فيهما " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٤٢) ولما قتل عماد الدين زنكي(٥٤١هـ /١١٤٦م) حاول جوسلين استغلال الموقف والدخول الى الرها(الرها: مدينة بالجزيرة بين الموصل وبلاد الشام)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٣، ص١٠٦) ولاسيما بعدما راسله ارمن الرها وعرضوا المساعدة له من اجل اقتحامها فتقدم جوسلين وتمكن من اقتحام مدينة الرها الا ان القلعة صمدت امام هجومه وأستبسل المدافعين من المسلمين عنها ، فما بلغ خبر الرها الى نور الدين سار بجنده وعسكره إليها ، فلما سمع جوسلين بوصوله خرج عن الرها إلى انطاكية ودخل نور الدين المدينة وطرد منها المتعاونين مع جوسلين فلم يبق منهم إلاّ القليل لتآمرهم على المسلمين (ابن الاثير، ١٩٩٣، ص ٨٦ ، ٨٧)

وذكر ابو شامة ان نور الدين محمود قام مقام في التصدي للفرنج منذ توليه سنة (٥٤١هـ/١١٤٦م) " فقصد حلب فملكها وخرج غازيا في أعمال تل باشر (تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب، بينها وبين حلب يومان، ولها ربض وأسواق، وهي عامرة)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٢، ص٤٠) فافتتح حصونا كثيرة من جملتها قلعة عزاز (عزاز: وهي بليدة فيها قلعة ولها رستاق شمالي حلب بينهما يوم، وهي طيبة الهواء عذبة الماء)(ياقوت الحموي،١٩٧٧،ج٤، ص١١٨؛ البغدادي، ١٩٩٢،ج٢، ص ٩٣٧) ومرعش (مرعش: مدينة في الثغور بين بلاد الشام وبلاد الروم لها سوران وخندق وفي وسطها حصن عليه سور يعرف بالمرواني بناه مروان بن مُحَمَّد الشهير بمروان الحمار ثم

ISSN. 1815-8854

أحدث الرشيد بعده سائر المدينة، وبها ربض يعرف بالهارونية)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٥، ص ١٠٧؛ البغدادي، ١٩٩٢،ج٣، ص١٢٥٩) وهزم امير أنطاكية وقتله وثلاثة آلاف فرنجي معه وحاصر دمشق مرتين وفتحها في الثالثة واستنقذ من العدو ثغر بانياس (بانياس: بلدة قرب دمشق، موقعها قرب الجبل الذي في غرب دمشق، يكثر فيها الليمون والأترج)(البغدادي، ١٩٩٢،ج١، ص ١٥٨) وغيره وكان في الحرب ثابت القدم حسن الرمي صليب الضرب يقدم أصحابه ويتعرض للشهادة وكان يسال الله تعالى أن يحشره في بطون السباع وحواصل الطير" (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٣٢) واستطاع في حروبه مع الفرنج من اسر العديد من أمراؤهم وان يكسر الروم والأرمن والفرنج على حارم(حارم: حصن حصين وقصبة كبيرة قرب أنطاكية، تعد من أعمال حلب، تشتهر بأشجارها الكثيرة ومياها الوفيرة)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٢، ص ٢٠٥؛ البغدادي، ١٩٩٢،ج١، ص ٣٧١) على الرغم من أن عددهم كان كبير حتى قيل كانت عدتهم ثلاثين ألفا وأخذ أكثر قرى أنطاكية ثم فتح الديار المصرية بعدما كادت تسقط بيد الفرنج (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١،ص ٣٣)إذ بعث في سنة(٥٦٢هـ/١١٦٦م) جيشاً إلى مصر لحمايتها من الصليبيين(الطرطوسي،د.ت، ص ٩٣) واستنقذ من العدو ثغر بانياس والمنيطرة وغيرهما(ابو شامة،١٩٩٧،ج١،ص ٣٢)

وكان لا يهمل أمراً من أمور رعيته ففي سنة (٥٦٧هـ/١١٧١م) هاجم صليبيو اللاذقية مركبين للمسلمين إذ كانا مملؤتين بالأمتعة مكتظين بالتجار، وغدروا بالمسلمين وكان نور الدين قد هادنهم فنكثوا، فلما سمع الخبر استعظمه وأرسل إلى الصليبيين يطلب إعادة ما أخذوه، فرفضوا مما دفع نور الدين ان يجمع عساكره وبث سراياه في مناطق الصليبيين بين أنطاكية وطرابلس، وقام بحصار حصن عرفة (عرفة: بلدة في سفح جبل شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهي آخر اعمال دمشق، بينها وبين البحر نحو ميل)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٤، ص ١٠٩؛ البغدادي،١٩٩٢،ج٢، ص٩٣٣) وتخريب ربضه(الصلابي، ٢٠٠٧، ص ١٧٥)

لقد عرف عن نور الدين محمود ايضاً انه كان لا يقيم في دمشق او غيرها أيام الربيع والصيف بل يرابط على الثغر مستعداً لمواجهة العدو (ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص ٢٣٠)فكان حصيلة جاهده في الثغور والبلاد الاخرى انه انتزع من أيدي الكفار نيفا وخمسين مدينة وحصن منها الرها وعزم على فتح بيت المقدس غير ان المنية وافته قبل بلوغ غايته في تحرير القدس. (ابن الجوزي، ١٩٩٢ ،ج ١٨، ص٢٠٩، ٢١٠)

وذكر أبو شامة في ذلك الجهد الذي بذله نور الدين محمود في جهاده وصراعه من اجل اعادة الارض الاسلامية ما يجعل الانسان المسلم يشعر بالفخر اتجاهه فقال:" وهو الذي أعاد رونق الإسلام إلى بلاد الشام وقد غلب الكفر وبلغ الضر فاستفتح معاقلها واستخلص عقائلها وأشاع بها شعار الشرع في جميع الحل والعقد والإبرام والنقض والبسط والقبض والوضع والرفع وكانت للفرنج في أيام غيره على بلاد الإسلام بالشام قطائع فقطعها وعفى رسومها ومنعها ونصره الله عليهم مرارا حتى أسر ملوكهم وبدد سلوكهم وصان الثغور منهم وحماها عنهم(ابو شامة، ٢٠٠٧،ج١، ص٥٠، ٥١)

رابعاً: السياسة المالية في سيرة نور الدين

ISSN. 1815-8854

١- حرصه على مال المسلمين :

عرف عن نور الدين محمود زنكي شدة حرصه على أموال المسلمين فمن الواجب عليه حفظه والحرص على انفاقه في اوجه خدمتهم العامة وفي سبيل تحقيق ذلك كان نور الدين حريصاً على احضار الفقهاء ويستفتيهم في أخذ ما يحل له من ذلك المال فكان يأخذ ما أفتوه بأخذه ولا يتعده إلى غيره حتى ذكر ان زوجته الخاتون قلت عليها النفقة ولم يكفها ما كان قرره لها فأرسلت إليه تطلب منه زيادة " تنكر وأحمر وجهه ثم قال من اين أعطيها أما يكفيها مالها والله لا أخوض نار جهنم في هواها إن كانت تظن أن الذي بيدي من الأموال هي لي فبئس الظن إنما هي أموال المسلمين مرصدة لمصالحهم " (ابو شامة ، ٢٠٠٧،ج١، ص٣٤)

وما وجد من مال لديه كان ينفقه على عامة الناس فكان يتصدق به وينفقه على الفقراء ، وكانت عادته في الانفاق أن يحضر جماعة من اهل البلد من كل محله ويسألهم عمن يعرفون في جوارهم من أهل الحاجة ثم يصرف إليهم صدقاتهم في كل شهر من جزية أهل الذمة مبلغ ألفي دينار يصرفه في كسوته ونفقته وحوائجه المهمة حتى أجرة خياطه و طباخه ويستفضل منه ما يتصدق به في آخر الشهر وأما ما كان يهدي إليه من هدايا الملوك وغيرهم فإنه كان لا يتصرف في شيء منه لا قليل ولا كثير بل إذا اجتمع يخرجه إلى مجلس القاضي يحصل ثمنه ويصرف في عمارة المساجد المهجورة و أسوار البلدان فضلا عن الربط والمدارس على اختلاف المذاهب (ابو شامة ، ٢٠٠٧،ج١، ص ٥١ ،٥٢)

ولشدة حرصه على المال ذكر أبو شامة:" أنه دخل يوما إلى خزانة المال فرأى فيها مالا أنكره فسأل عنه فقيل إن القاضي كمال الدين أرسله وهو من جهة كذا فقال إن هذا المال ليس لنا ولا لبيت المال في هذه الجهة شيء وأمر برده وإعادته إلى كمال الدين ليرده على صاحبه فأرسله متولي الخزانة إلى كمال الدين فرده إلى الخزانة وقال إذا سال الملك العادل عنه فقولوا له عني إنه له فدخل نور الدين الخزانة مرة أخرى فرآه فأنكر على النواب وقال ألم أقل لكم يعاد هذا المال على أصحابه فذكروا له قول كمال الدين فرده إليه وقال للرسول قل لكمال الدين أنت تقدر على حمل هذا وأما أنا فرقبتي دقيقة لا أطيق حمله والمخاصمة عليه بين يدي الله تعالى يعاد قولا واحدا " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج ١، ص٤٠، ٤١)

ولحرصه على الاموال كان نور الدين يحاسب القاضي المسؤول عن الوقوف ويقول :"انا قلدته على أن يتصرف بالمعروف وما فضل من مصارفها وشروط واقفها يأمره بصرفه في بناء الأسوار وحفظ الثغور " (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٥٤) والجوامع والمساجد والبيمارستان وقني السبيل والاسواق (ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٧٥) وما وقفه وتصدق به وأجراه في سبل الخيرات ووجوه البر والصدقات تقدير ثمنه مئتا ألف دينار وتقدير الحاصل من ارتفاعه في كل سنة ثلاثون ألف دينار من ذلك ما وقفه على المدارس الحنفية والشافعية والملكية والحنبلية وأئمتها ومدرسيها وفقهائها وما وقفه على آدر الصوفية والربط والجسور والبيمارستانات والجوامع والمساجد والأسوار وما وقفه على السبيل في طريق الحجاز وما وقفه على فكاك الأسرى وتعليم الأيتام ومقر الغرباء وفقراء المسلمين وما وقفه على الأشراف العلويين والعباسيين وما ملكه لجماعة من الأولياء والغزاة والمجاهدين(ابو شامة ، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٦٩ ،٧٠، ٧١)

ISSN. 1815-8854

٢- الضرائب (المكوس):

أدرك نور الدين محمود أن أي تغيير أساس في واقع الحياة البشرية نحو الأحسن والأمثل لن يستكمل أبعاده إلاّ من خلال إعادة تشكيل الأرضية الاجتماعية بالحق والعدل إذ لا يبقى هناك ظالم أو مظلوم، وكان موقفه الفعال ينطلق من الرؤية الإسلامية الموضوعية العادلة التي صاغها كتاب الله وسنة رسوله، وهو التصور الذي يرفض بالكلية صيغ الأخذ والاستلاب والابتزاز والتضييع التي مارستها الكثير ممن جاء قبله ، ويأخذ هذا الابتزاز صيغ فرض الضرائب ، والامتناع في المقابل عن تقديم الخدمات، ومن ولتجاوز هذا المنطق الخاطئ سعى نور الدين للحد منها وتقليص انواعها إلى الحد الأدنى المتاح، ونشط من أجل تقديم أوسع الخدمات مع رقابة صارمة على أموال الدولة العامة وزيادة الانفاق على الطبقات الفقيرة المسحوقة من أبناء الأمة، وعلى توفير الخدمات المختلفة لفهم واقعها المرير ودفعها إلى مستوى الكفاية يستند في ذلك كله على قدر من السياسات والموارد، إذ كانت قديرة على تغطية متطلبات العطاء الواسعة التي نفذتها دولته الراشدة ، فكان حيناً بعد حين – يصدر الأوامر ويعمّم الكتب والمناشير بإسقاط العديد من الضرائب (اللاشرعية) التي كانت تؤخذ من عامة الناس (الصلابي، ٢٠٠٧، ص٢٨٢ ،٢٨٣)

ومن الاعفاءات الضريبية التي عمل الغائها ما اصدره في دمشق سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) منشوراً بإسقاط المكوس والضمانات والضرائب والغرامات المفروضة على عدد من البضائع والأسواق منها : سوق البطيخ، سوق الخيل، سوق البقل، ضمان الأنهار ، سوق الغنم،١٠٠٠الخ، وغيرها وقرئ المنشور على المنبر: فاستبشر الناس بصلاح الحال وأعلن الناس ... والفلاحين والمتعيشين برفع الدعاء إل الله سبحانه بدوام أيامه" (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٢)

وعندما دخل نور الدين شيز (شيزر: قلعة ببلاد الشام قرب معرة النعمان، بينها وبين حماة يوم، في وسطها نهر الأردن عليه قنطرة في وسط المدينة أوله من جبل لبنان تعد في كورة حمص)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٣، ص٣٨٣) سنة (٥٥٢هـ/١١٥٧م) أمر بكتابة منشور بإطلاق المظالم بحلب ودمشق وحمص وحران وسنجار (سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة، بينها وبين الموصل ثلاثة أيام، وهي في جبل عال، وهي مدينة طيبة)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٣، ص٢٦٢؛ البغدادي،١٩٩٢،ج٢، ص٧٤٣) والرحبة وعزاز وتل باشر: وهذا نسخة من النص الكتاب المنشور الذي نقله ابو شامة : " بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ:هذا ما تقرب به إلى الله سبحانه وتعالى صافحا وأطلقه مسامحا لمن علم ضعفه من الرعايا رعاهم الله لضعفهم عن عمارة ما أخربته أيدي الكفار أبادهم الله تعالى عند استيلائهم على البلاد وظهور كلمتهم في العباد رأفة بالمسلمين المثاغرين ولطفا بالضعفاء المرابطين الذين خصهم الله سبحانه بفضيلة الجهاد واستمحنهم بمجاورة أهل العناد اختبارا لصبرهم وإعظاما لأجرهم فصبروا احتسابا وأجزل الله لهم أجرا وثوابا {إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) } (الزمر: ١٠)وأعاد عليهم ما اغتصبوا عليه من أملاكهم التي أفاء الله تعالى عليهم بها واقرها في الدولة الإسلامية بعدما طرأ عليها من الظلمة المتقدمين واسترجعه بسيفه من الكفرة الملاعين فطمس عنهم بذلك معالم الجورفي كل سنة من العين مئة ألف وستة وخمسين ألف دينار جهة ذلك حلب خمسون ألف دينار عزاز عن مكس جددته الفرنج خذلهم الله على المسافرين عشرة آلاف دينار تل باشر أحد وعشرون ألف دينار المعرة ثلاثة آلاف دينار دمشق المحروسة لما

ISSN. 1815-8854

استنجد به أهلها واستصرخ من فيها خوفا على أنفسهم وأموالهم من استيلاء العدو وضعفهم عن مقاومة ما كان يؤخذ منهم في كل سنة وهو رسم يسمونه الفسة عشرون ألف دينار حمص ستة وعشرون ألف دينار حران خمسة آلاف دينار سنجار ألف دينار الرحبة عشرة آلاف دينار عداد العرب عشرة آلاف دينار" (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص ٦٩ ،٧٠، ٧١).

امر نور الدين محمود في سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) برفع جميع المكوس صادرها ووارداها جليلها وحقيرها قال ابو شامة :" فمن عدله أنه لم يترك في بلد من بلاده ضريبة ولا مكسا ولا عشرا بل أطلقها رحمه الله جميعها في بلاد الشام والجزيرة جميعها والموصل وأعمالها وديار مصر وغيرها مما حكم عليه وكان المكس في مصر يؤخذ من كل مئة دينار خمسة وأربعون دينارا فأطلقها وهذا لم تتسع له نفس غيره"(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ٣٨، ٣٦٢) فما أبقى سوى الجزية والخراج وما تحصل من قسمة الغلات وأمر بكتابة مناشير لجميع أهل البلاد فكتبت أكثر من ألف منشور وحسبنا (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص٥١)

وفي جمادي الأولى سنة (٥٦٩هـ/١١٧٣م) اي السنة التي توفى فيها نور الدين أسقط ما أطلق عليه فريضة الأتبان (فريضة الأتبان: وهي الضريبة التي تفرض على العلافين الذين يبيعون الاعلاف لأصحاب الحيوانات) (ابن قدامة ، ١٩٨١، ص ٣٤) في بلاد الشام، وأصدر بذلك منشوراً وقد اورد ابو شامة النص ذلك المنشور كاملاً:"وبعد فإن من سنتنا العادلة وسير أيامنا الزاهرة وعوائد دولتنا القاهرة إشاعة المعروف وإغاثة الملهوف وإنصاف المظلوم وإعفاء رسم ما سنه الظالمون من جائرات الرسوم وما نزال نجدد للرعية رسما من الإحسان يرتعون في رياضه ويرتوون من حياضه ونستقري أعمال بلادنا المحروسة ونصفيها من الشبه والشوائب ونلحق ما نعثر عليه من بواقي رسومها الضائرة بما أسقطناه من المكوس والضرائب تقربا إلى الله تعالى الكافل لنا بسبوغ المواهب وبلوغ المطالب وقد أطلقنا جميع ما جرت العادة بأخذه من فريضه الأتبان المقسطة على أعمال دمشق المحروسة وضياع الغوطة والمرج وجبل سنير وقصر حجاج والشاغور والعقيبة ومزارعها الجارية في الأملاك وجميع ما يقسط بعد المقاسمة من الأتبان على الضياع الخواص والمقطعة بسائر الأعمال المذكورة ووفرناه على أربابه طلبا لمرضاة الله وعظيم أجره وثوابه وهربا من انتقامه وأليم عقابه وسبيل النواب إطلاق ذلك على الدوام وتعفيه آثاره والاستعفاء من أوزاره والاحتراز من التدنس بأوضاره وإبطال رسمه من الدواوين لاستقبال سنة تسع وستين وما بعدها على تعاقب الأيام والسنين" (ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص ٢٧٠)

ويمكن تلخيص ما كان عليه وضع النظام الضريبي في اواخر عهد نوري الدين محمود بن زنكي بأنه لم يبق من الضرائب سوى الجزية والخراج ، وما يحصل من قسمة الغلات (الصلابي، ٢٠٠٧، ص ٢٨٥) وكانت النتيجة الطبيعية لذلك، أن نشط الناس للعمل، فأخرج التجار أموالهم، ومضوا يتاجرون، وإذ جاءت الجبايات الشرعية بأضعاف ما كان يجبي من وجوه الحرام بينما كان ما ألغاه من المكوس المستحدثة لا يزيد عن (١٦٥.٠٠٠) مائة وخمسة وستين ألف دينار(الصلابي، ٢٠٠٧، ص ٢٣٣)، وكان سيرته اصلح من كثير من الولاة، والطرق في أيامه آمنة والمحامد له كثيرة وترك المكوس قبل موته. (ابن الجوزي، ١٩٩٢،ج١٨، ص ٢٠٩، ٢١٠)

ISSN. 1815-8854

خامساً: الجانب العمراني من سيرة نوري الدين:

لم يغفل نور الدين محمود بن زنكي عن اهمية الجانب العمراني في خضم صراعه مع الصليبيين ففي وسط تلك الحروب والصراعات بنا وعمرا وانشأ العديد من المنشآت العمرانية منها ما هو بطابع العسكري ومنها ما هو مدني خدمي وغير ذلك ، فقد بنى نور الدين المساجد والربط والزوايا والمدارس ودور الحديث ، وبنى أيضاً دوراً للأيتام لإيواء أطفال المسلمين، والمارستان (البيمارستان: كلمة فارسية مركبة من كلمتين (بيمار) بمعنى مريض أو عليل و (ستان) بمعنى مكان فيكون معناها دار المرضى ثم اختصرت في الاستعمال فصارت مارستان وهي مستشفيات عامة تعالج فيها الأمراض ، وفيها قسم للذكور وقسم للإناث ، وكل قسم مجهز بما يحتاجه من أدوات وخدم وفراشين من الرجال والنساء ومشرفين وبها قاعات للمرضى، وتحتوي على صيدلية لصرف العلاج)(ابن منظور ، ١٩٩٧،ج٦، ص٢١٧ ؛ عيسى بك ، ١٩٨١، ص٤ ، ١٨-١٩) لمعالجة المرضى، وأقام الجسور والقناطر والحدائق والقنوات والأسواق والحمامات والمخافر وشقَّ الطرقات العامة فحفلت دولته بكثير من المؤسسات الاجتماعية والعمرانية ، ويلحظ ان عدوى الرغبة في البناء والإعمار قد سرت إلى رجاله وكبار موظفيه فراحوا يتسابقون في بناء المدارس والمساجد ومؤسسات الخدمات الاجتماعية وما أكثر الروايات التي قيلت في هذا الصدد ويكفي أن نطلع على تراجم رجال نور الدين محمود، بل النساء اللواتي اشتهرن في عصره كذلك لمعرفة تلك الانجازات (الصلابي، ٢٠٠٧، ص١٨٠،١٧٨)

١- مساجد وجوامع

كانت المساجد فضلاً عن صفتها الدينية العبادية لها صفة علمية ايضاً وإذ تعد من المؤسسات العلمية التعليمية وقد اشار ابو شامة ان نور الدين محمود زنكي بنى المدارس و الجوامع والمساجد في العديد من البلاد الشامية وغيرها.

وبنى عديداً من المساجد في بلاد الشام ووقف عليها وعلى من يقرأ بها القرآن" (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٤٨) ففي مدينة دمشق جدد نور الدين مسجد ابن عطية الواقع داخل باب الجابية ومسجد ابن لبيد ومسجد سوق الرماحين ومسجد بسوق الصاغة ومسجد دار البطيخ ومسجد العباسي بسوق الأحد ومسجد جدده نور الدين جوار بيعة اليهود وغيرها ، ووقف الأوقاف الكثيرة عليها ، بل كانت عنايته حتى بالجانب الجمالي لها فوفر لها الاراضي التي زرعها بالأشجار والازهار والبساتين وجعلت امكنة يجتمع فيها عامة الناس في ليالي شهر رمضان ومتنفس في الأعياد وأيام الجمع وغيرها من المناسبات الاخرى (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج١، ص٧٢، ٧٣)

ومن اعماله انه في سنة(٥٤٣هـ/١١٤٨م) جدد مسجد الغضائري (الغضائري : أبو الحسن علي بن عبد الحميد بن عبد الله بن سليمان بن مُحَمَّد الغضائري من أهل حلب قيل إنه كان بغداديا سكنها وكان من الصالحين الزهاد الثقات

ISSN. 1815-8854

كانت وفاته في شوال سنة (٣١٣هـ/٩٢٥م)(السمعاني، ١٩٩٨،ج٤، ص٢٩٩؛ ابن العجمي،١٩٩٦،ج١، ص٣٠٧) ووقف عليه الأوقاف ونسب اليه أحد المشايخ (ابن العديم ، ١٩٩٦، ص ٣٣٢) وفي شوال من سنة(٥٦٤هـ/١١٦٨م) إذ اعاد نور الدين بناء مسجد حلب الكبير(مسجد حلب الكبير يعد أول جامع أنشيء في حلب وقد ذُكر أن موضع هذا الجامع كان بستاناً للكنيسة العظمى في أيام الرّومان، وهي تنسب إلى هيلانة أو قسطنطين الملك باني القسطنطينية، ولما فتح المسلمون حلب صالحوا أهلها على موضع المسجد الجامع وقد ذكر أن هذا الجامع من بناء الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك (٩٦ – ٩٩هـ/٧٠٥ – ٧١٥م)(ابن العديم، ١٩٩٦،ج٢، ١٠٥) بعدما اقدم الإسماعيلية (الإسماعيلية اسم عام يطلق على الفرقة التي تعتقد بإمامة الابن الأكبر للإمام الصادق وهو إسماعيل بن جعفر الصادق بن مُحَمَّد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي ابن أبي طالب (ﷺ)، و كانت وفاته سنة (١٤٠هـ/٧٥٧م) قبل وفاة أبيه بخمس سنين ودفن في مقبرة البقيع ومن أهم المبادئ التي أقام الإسماعيلية عليها مذهبهم ، إيمانهم بأن لكل عقيدة ظاهرا" وباطناً ولكل تنزيل تأويل ، وقد أدى بهم هذا الرأي إلى تأويل أحكام الشريعة فجعلوا لكل نوع من أنواع العبادة باطناً مما جعل الناس يطلقون عليهم اسم الباطنية)(العمري ، ٢٠١٠ ،ج٣، ص ٣٢٤، ٣٢٨ ؛ عشري ، ١٩٨٣، ص٦١ وما بعدها)على أحراقه إذ كان يتخذ مكانا للدرس فضلاً عن العبادة، وفيه كثير من الزوايا المالكية والحنابلة ، فأعاد بناء الجامع ووسعه وخصص له أوقافاً كثيرة(الصلابي، ٢٠٠٧ ، ص ٢١٥) وذكر أبو شامة:" احترق جامع حلب وأسواق البز وأخذ نور الدين في عمارته آخر السنة" (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج٢، ص١٣٨) فأوقف زاويتين بالمسجد الجامع في حلب، وخصص إحداهما لفقهاء الحنابلة والأخرى للمالكية (الصلابي، ٢٠٠٧، ص٢١٣) وبنى أيضا بمدينة حماة جامعا على نهر العاصي من أحسن الجوامع وأنزهها وجدد في غيرها من عمارة الجوامع ما كان قد تهدم إما بزلزلة أو غيرها (ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٥) وفي سنة (٥٦٥هـ/١١٦٥م) خرج نور الدين إلى داريا (داريا: قرية كبيرة مشهورة من قرى دمشق بالغوطة)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٢، ص٤٣١) فأعاد عمارة جامعها وعمر مشهد أبي سليمان الداراني(ابو شامة، ١٩٧٧،ج٢، ص ١٤٨)

فضلاً عن ذلك كان لنور الدين بصمته في انشأ المساجد خارج بلاد الشام ومن ذلك المسجد الجامع الذي أنشائه في مدينة الموصل فذكر ابو شامة انه انشأ جامع ضرب به الحسن فقال :" إليه النهاية في الحسن والإتقان ومن أحسن ما عمل فيه أنه فوض أمر عمارته والخرج عليه إلى الشيخ عمر الملاء (الشيخ عمر الملاء: ابو مُحَمَّد عمر الملا معين الزاهد، وسمي ملاء لأنه كان ملاء تنانير الآجر او الجص وهو يتلو القرآن الكريم ، ثم يأخذ الاجرة فيتقوت بها ولا يملك شيء، إذ كان عالما بفنون الكلام، ويزوره الملوك والاعيان ويتبركون به، صنف كتابا في سيرة النبي، وكان يعمل المولد النبوي ويصنع الطعام الكثير فيحضره اعيان البلد ، تولى بناء الجامع النوري بالموصل استجابة لطلب نور الدين بن زنكي)(ابن المستوفي ،١٩٨٠، ج٢، ص٥٩) أحد صالحي المدينة وشيوخها الورعين فكان يقول :"انه رجل من الصالحين لا يظلم فإذا ظلم كان الإثم عليه لا على قال وهذا هو الفقه في الخلاص من الظلم (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٥) وقد ذكر ان الارض التي اختيرت لبناء المسجد الجامع كانت ارض خربة واسعة تقع في وسط المدينة ، فأشار الشيخ عمر الملاء

ISSN. 1815-8854

بابتياعها وبناء جامع كبير فيها تقام فيه الصلوات وتخطب الجمع وتدرس العلوم ففعل نور الدين وأنفق فيه أموالاً كثيرة (ابن الاثير، ١٩٩٣، ص ٤٥) وذكر ان نور الدين محمود خرج بنفسه إلى موضع اختيار المسجد ، وأمر أن يضاف إلى الأرض المسجد ما يجاورها من الدور والحوانيت، وألا يؤخذ منها شيء بغير رضى أصحابه، وولى الشيخ عمر الملا ذلك، فاشترى الأملاك من أصحابها بأوفر الأثمان، وقد بداء بناءه سنة (٥٦٦هـ/١١٧٠م) وفرغ من عمارته سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) (ابن الاثير،١٩٩٤،ج٩، ص٣٦٠) واستكثر من الأوقاف عليها يقال بلغ ريع أوقافه في كل شهر تسعة آلاف دينار (ابن خلدون، ١٩٨٨،ج٥، ص ٢٩٧) ويذكر ان عمارة المسجد بلغت ستين ألف دينار (ابن العماد الحنبلي، ١٩٩٢،ج٦، ص٣٥٩) وقد وصف الجامع النوري بأنه في غاية الحسن، له صحن كبير فيه ثلاث قباب مرتفعة على سواري رخام تحت كل قبة بئر عذبة، مبني بالحجارة وكذلك منارة الجامع (الحميري ، ١٩٨٤، ص١٩٢) وقد زاره ابن الجبير فذكر بقوله: " وفي صحن هذا الجامع قبة، داخلها سارية رخام قائمة، وفي أعلاها خصة رخام مثمنة يخرج عليها أنبوب من الماء خروج انزعاج وشدة، فيرتفع في الهواء أزيد من القامة كأنه قضيب من البلور معتدل ثم ينعكس الى أسفل القبة" (ابن جبير ، ١٩٦٤، ص ١٨٩) وكما زاره الرحالة ابن بطوطة فذكر" وفي صحن الجامع قبة داخلها خصّة رخام مثمّنة مرتفعة على سارية رخام يخرج منها الماء بقوّة وانزعاج، فيرتفع مقدار القامة ثم ينعكس فيكون له مرأى حسن" (ابن بطوطة ، ١٩٩٧،ج٢، ص٨١، ٨٢)

٢- مدارس ودور علم

حظي التعليم ومؤسساته بقدر كبير من الاهتمام من لدن نور الدين محمود زنكي فنجده لذا يدرك عظمة نشر العلم من خلال بناء العديد من المؤسسات التعليمية التي تعنى بالعلم ونشره من المدارس ودور العلم ومكاتب تعليم الصبيان ويمكن بيان ذلك الاهتمام فيما يأتي:

أ- المدارس:

وضع نور الدين محمود بصمته العلمية الكبيرة في ميدان التعليم والحث على نشره من خلال تبنيه بناء العديد من المدارس ولمذاهب مالختلف رغبةً منه بنشر العلم والعقيدة الاسلامية فنجده يبني ويرمم العديد من المدارس في مدن دمشق وحلب وحماة وغيرها للشافعية والحنفية وغيرهم من المذاهب(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٤٥)

ففي مدينة دمشق ذكر ابو شامة ان نور الدين محمود بنى بها المدارس(ابو شامة ، ١٩٩٧،ج١، ص٣٢) وهما مدرستان الأولى المدرسة النورية الكبرى وقد أنشأها الملك نور الدين محمود بن زنكي سنة (٥٦٣هـ/١١٦٧م) (النعيمي ، ١٩٩٠،ج١، ص٤٦٦)،وانشئت لتدريس المذهب الحنفي(ابن بطوطة ، ١٩٩٧،ج١، ص٣١٨)، وتسمى المدرسة الثانية : النورية الصغرى وتقع قرب جامع قلعة دمشق بناها أيضا في مدة بناء المدرسة النورية الكبرى نفسها وجعلها للحنفية أيضا(العمري ، ٢٠١٠،ج٦، ص٢٤٧ ؛ النعيمي ، ١٩٩٠ ،ج١، ص٤٩٩)، وجعل عليها أوقافاً كثيرة (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٧٢ ،٧٣)

ISSN. 1815-8854

وذكر أبو شامة ان نور الدين شرع في إنشاء مدرسة كبيرة للشافعية في دمشق بعد وصول الشيخ قطب الدين مسعود بن مُحَمَّد النيسابوري الى المدينة سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) ولم يكمل بنائها لوفاته فاستمرت كذلك حتى اكمل بنائها الملك العادل أبو بكر بن أيوب(٦١٥هـ /١٢١٨م) وسميت المدرسة بالعادلية(ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص٢٦٣ ،٢٦٤)

وعندما ملك نور الدين محمود مدينة حلب واصبحت تحت حكمه بنى بها المدارس ووقف الأوقاف(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٢) لذا شرع نور الدين في بناء وتجديد المدارس فيها، وارسل في طلب أهل العلم والفقهاء إليها، فأنشأ المدرسة المعروفة بالحلاويين (سميت بذلك، لأن مؤسسها كان يضع كيساً مملوءاً بالحلاوة والقطائف المحشوة على بابها ويجمع الفقهاء والعاملين فيها)(ابن الشحنة ، ١٩٨٤، ص١١٠ ؛ الطباخ الحلبي ، ١٩٨٨،ج٢، ص٧١-٧٢)، في سنة(٥٤٤هـ/١١٤٩م) ،(ابن العديم ، ١٩٩٦،ج٢، ص ٣٣١) وقد بنى فيها مساكن يأوي اليها الفقهاء وطلبة العلم، واستدعى الشيخ برهان الدين أبا الحسن علي بن الحسن البلخي (البلخي برهان الدين أبو الحسن علي بن مُحَمَّد (٥٤٨هـ/١١٥٣م) وهو من علماء المشهورين، استقدم من دمشق بعد بناء المدرسة الحلاّوية في حلب للتدريس فيها، وكان قد تفقه فيما وراء النهر، وبغداد، والحجاز، ثم قدم دمشق عام (٥١٩هـ/١١٢٥م) وجلس للوعظ وكان يتميز بصدق كلماته فلقيت قبولاً حسناً في قلوب الناس، وكان حسن الاعتقاد زاهداً في الدنيا، وقفت عليه الأوقاف الكثيرة، وكثرت الأعطيات فلم يلتفت إليها)(ابن العديم، ١٩٩٦ ،ج٢، ص٢٩٣ – ٢٩٤؛ ابن واصل ، ١٩٧٢،ج١، ص ٢٨٣) الحنفي وولاه تدريسها، وفي سنة(٥٤٣هـ/١١٤٨م) بنى المدرسة العصرونية (المدرسة العصرونية: كان موقع هذه المدرسة في الأصل دار لأبي الحسن علي بن أبي الثُريّا وزير بني مِرداس أصحاب حلب ولما جاء نور الدين محمود إلى حلب اشترى هذه الدار وحوّلها مدرسة، وجعل فيها مساكن للمدرسين بها من الفقهاء وذلك (سنة ٥٥٠هـ/١١٥٥م) حسب ما جاء في بعض المصادر التاريخية)(ابن الشحنة ، ١٩٨٤، ص ١١٠؛ الصلابي، ٢٠٠٧، ص ٣٠١) التي كانت تدرس على مذهب الشافعي (ابن العديم، ١٩٩٦،ج١، ص ٣٣٢) وهي من المدارس المهمة في حلب ، تقع إلى الشرق من مدينة حلب في محلة تعرف بمحلة حجر الذهب(ابن شداد،١٩٨٣، ص٢٠٢) ، إذ كانت المدرسة داراً فجعلها الملك نور الدين محمود مدرسة وبنى فيها مساكن للفقهاء وذلك سنة (٥٥٠هـ/١١٥٥م) (النعيمي ، ١٩٩٠،ج١، ص٣٠٤) وبعد أن أتّم نور الدين محمود بناء هذه المدرسة استدعى لها من نواحي سنجار الإمام شرف الدين عبد الله بن أبي عصرون المتوفي سنة(٥٨٥هـ/١١٨٩م) وفوّض إليه مهنة التدريس بها والنظر في أوقافها، وهو أولّ من درّس بها فعُرفت به، ونسبت إليه ، ولم يزل الإمام شرف الدين بن أبي عصرون يُدّرس في هذه المدرسة وينظر أوقافها إلى أن عاد إلى دمشق سنة (٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) ولما خرج إلى دمشق استخلف (نيابة) فيها ولده نجم الدين أبو البركات عبد الرحمن وستمر بها حتى ولي قضاء حماة فغادر حلب(ياقوت الحموي ، ١٩٩١،ج١٩، ص٤٨؛ السيوطي ، د. ت،ج١، ص١٤٢، ١٤٣)

والمدرسة النِفّريَة (النورية) التي أنشأها الملك العادل نور الدين محمود سنة(٥٤٤هـ /١١٤٩م) (ابن العديم،١٩٩٦،ج١، ص ٣٣٢)لتدريس المذهب الشافعي وتولى التدريس بها قطب الدين مسعود بن مُحَمَّد النيسابوري(ت ٥٧٨هـ/ ١١٨٢م) ، وقد كان حضر إلى دمشق في عام (٥٤٠هـ/١١٤٥م) وأقام بها يعظ ويعلم، فأقبل عليه الناس

ISSN. 1815-8854

فاستدعاه نور الدين إلى حلب وأسند إليه التدريس بهذه المدرسة (الصلابي، ٢٠٠٧، ص ٢١٢)ويذكر أبو شامة عن الشيخ قطب الدين مسعود بن مُحَمَّد النيسابوري انه في سنة (٥٦٨هـ/١١٧٢م) :" وصل الفقيه الإمام الكبير قطب الدين النيسابوري وهو فقيه عصره ونسيج وحده فسر نور الدين به وأنزله بحلب(ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص ٢٦٣ ،٢٦٤) ويُعد الشيخ قطب الدين النيسابوري هو أول من وُلي التدريس في هذه المدرسة، وبقي قطب الدين إلى أن توفي في سنة(٥٧٨هـ/١١٨٢م) (ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص ٢٦٣ ،٢٦٤)

والمدرسة الشُعيْبيَّة: كان موقع هذه المدرسة مسجداً يقال أنه أول ما اختطه المسلمون عند فتح حلب من المساجد، وعُرف هذا المسجد بأبي الحسن الغضائِريّ المتوفى سنة(٣١٣هـ/٩٢٥م)، فلما ملك نورالدين محمود حلب وأنشأ بها المدارس وصل الشيخ شعيب بن أبي الحسن بن حسين بن أحمد الأندلسي إلى حلب فجعل له هذا المسجد مدرسة وجعله مدرساً بها فعرفت به، ولم يزل الشيخ شعيب مُدرّساً بها إلى أن توفي بطريق مكة سنة(٥٩٦هـ/١١٩٩م) (ابن العجمي، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٠٨) وبنى أيضا المدارس بحماة وغيرها للشافعية والحنفية(ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٤٥)

اما عن دور الحديث فقد بنى نور الدين محمود زنكي عديداً من دور الحديث في مدينة دمشق ووقف عليها وعلى من بها من المشتغلين بعلم الحديث (ابو شامة، ١٩٩٧ ،ج١، ص ٤٧)ومن أبرزها (دار الحديث النورية) الواقعة جنوب دمشق قرب سوق العصرونية أنشأها الملك نور الدين محمود زنكي(ابن كنان ، ١٩٩٣،ج١، ص٣٣٢) وأوقفها على طلبة الحديث وجعل فيها خزانة للكتب وخص لها أوقافاً كثيرة(النعيمي،١٩٩٠،ج١، ص٧٤) وأنشأ في مدينة حلب دار للحديث وجعل عليه العديد من الاوقاف(ابن الشحنة ، ١٩٨٤، ص ١٢٣)

اما عن مكاتب تعليم الصبيان القرآن الكريم والقراءة والكتابة فقد بنى عديداً منها وخصها لتعليم الأيتام فيذكر أبو شامة ان نور الدين محمود زنكي بنى العديد من المكاتب في كثير من بلاده وأجرى عليهم وعلى معلميهم الجرايات الوافرة(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٨)

ويذكر أبو شامة عن تعامله مع اهل العلم فيقول :" كان يقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته ، ويقبل عليه بحديثه والتعظيم والتوقير والاحترام ويجمعهم عند البحث والنظر فقصدوه من البلاد الشاسعة ، وبالجملة كان أهل الدين عنده في أعلى محل وأعظمه وكان أمراؤه يحسدونهم على ذلك " (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٧)

٣- القلاع والحصون والاسوار

للشهيد نوري الدين محمود عناية خاصة بالمنشأة الحربية بمختلف عناوينها من قلاع وحصون واسوار على ثغور الدولة الاسلامية حتى نجد ابو شامة يعبر عن ذلك الاهتمام بقوله:" ما فعله في بلاد الإسلام من المصالح مما يعود إلى حفظها وحفظ المسلمين فكثير عظيم من ذلك أنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها فمنها حلب وحماة وحمص ودمشق وبارين (بارين : مدينة حسنة بين حلب وحماة من جهة الغرب)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج١، ص٣٢٠) وشيزر

ISSN. 1815-8854

ومنبج(منبج: وهي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة عليها سور مبني بالحجارة محكم، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ)(ياقوت الحموي، ١٩٧٧،ج٥، ص ٢٠٦) وغيرها من القلاع والحصون وحصنها وأحكم بناءها وأخرج عليها من الأموال ما لا تسمح به النفوس وبنى أيضا الأبراج على الطرق بين المسلمين والفرنج وجعل فيها من يحفظها ومعهم الطيور الهوادى فإذا رأوا من العدو أحدا أرسلوا الطيور فأخذ الناس حذرهم واحتاطوا لأنفسهم فلم يبلغ العدو منهم غرضا وكان هذا من ألطف الفكر وأكثرها نفعا" (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص٤٤، ٤٥، ٤٦)

ولشدة حرص نور الدين محمود على صيانة ثغور المسلمين نجده يسير بنفسه لترميم تلك الحصون والقلاع والاسوار ففي سنة(٥٦٥هـ/١١٦٩م) ضربت بلاد الشام زلازل فكان له تأثير كبير على عديد من المدن فهدم أسوارها وقلاعها، وسقطت الدور على أهلها ، فلما بلغ الخبر نور الدين سار إلى بعلبك(بعلبكّ: مدينة بينها وبين دمشق ثلاثة أيام، بها أبنية عجيبة وآثار عظيمة، وقصور على أساطين الرّخام، لا نظير لها)(البغدادي، ١٩٩٢، ج١، ص ، ٢٠٧، ٢٠٨) لإعادة إعمار ما تهدم من أسوارها وقلعتها، وعندما وصل بعلبك أتاه خبر دمار باقي البلاد وهلاك كثير من أهليها، فرتب في بعلبك من يحميها ويعمرها وانطلق إلى حمص ففعل مثل ذلك ومنها إلى حماه وبارين وكان شديد الحذر على سائر البلاد من الفرنج ولاسيما قلعة بارين فإنها مع قربها منهم لم يبق من سورها شيء البتة، فجعل فيها طائفة من العسكر مع أمير كبير، ووكل بالعمارة من يحث عليها ليلاً ونهاراً، ثم أتى مدينة حلب، فلما شاهد ما صنعته الزلزلة بها، وبأهلها أقام فيها وباشر عمارتها بنفسه، وكان هو يقف على استعمال الفعلة والبنائين، ولم يزل كذلك حتى أحكم أسوار جميع البلاد وأخرج من المال مالا يقدر قدره (ابو شامة، ١٩٩٧،ج٢، ص١٥٤، ١٥٥) ولم تكن مكة والمدينة ببعيدة عن اهتمام نور الدين فعمل على تأمين الحج فأقطع أمراء العرب لئلا يتعرضوا للحجاج وأمر بإكمال سور المدينة(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٣)

٤- الربط والخانقاهات :

اما فيما يخص الربط (الربط: جمع رباط وهي في الأصل من رابط مرابطة إذا لازم الثغور الإسلامية، فالربط والمرابطة ملازمة ثغر العدو والرباط المواظبة على الأمر فتحولت مع الوقت إلى مكان لمن يرغب للتفرغ للعبادة والدرس ومجاهدة النفس)(ابن منظور،١٩٩٧،ج٧، ص٣٠٣؛ الغلامي ، ٢٠٠٠، ص١٢٠ ، ١٢١)والخانقاهات(الخانقاهات: جمع خانقاه وهي كلمة فارسية معربة معناها البيت ، وقيل أصل الكلمة (خونكاه) ومعناها الموضع الذي يأكل فيه الملك ، ثم أصبح المقصود بها المكان الذي يختلي فيه الصوفية وينقطعون للعبادة)(علي ، ١٩٢٨،ج٦، ص١٣٣؛ الغلامي ، ٢٠٠٠، ص١١٩)، التي تعد المكان الذي يختلي فيه الصوفية وينقطعون للعبادة، فقد كان لها الاهتمام والرعاية من نور الدين محمود زنكي ، فيذكر ابو شامة في هذا الخصوص قوله :" وبنى الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية ووقف عليها الوقوف الكثيرة وكان يحضر مشايخهم عنده ويقربهم ويدنيهم ويبسطهم ويتواضع لهم وإذا أقبل أحدهم إليه يقوم له مذ تقع عينه عليه ويعتنقه ويجلسه معه على سجادته ويقبل عليه بحديثه" (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٧) وله عناية خاصة

ISSN. 1815-8854

بمدينة مكة المكرمة والمدينة المنورة إذ يذكر أبو شامة انه وبنى الربط وجدد كثيرا من قني السبيل (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٣٣)

٥- مشاريع صحية وخدمية:

لنور الدين في الجانب الصحي بصمته الواضحة في بناء المؤسسات الصحية والخدمية إذ يقول أبو شامة :"وبنى البيمارستانات" في البلاد ومن أعظمها، (البيمارستان النوري) في دمشق بناه الملك نور الدين محمود زنكي في سنة (٥٤٩هـ/١١٥٤م) وكان يعالج المرضى ويقدم لهم الأدوية وكان جميعه مفروش وعليه أوقاف كثيرة وبه مكتبة(ابن ابي اصيبعة ، د. ت، ص٦٢٨) ويذكر ابو شامة ان الملك نور الدين لم يجعله وقفا على الفقراء فحسب بل على كافة المسلمين من غني وفقير ووفر فيه الادوية مجاناً (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٥)

وذكر ابو شامة ان الأموال المستخدمة للبناء كان من اموال الفدية التي تحصل عليها نظير أطلاقه احد امراء الفرنج فيذكر: "وبلغني في أصل بنائه نادرة وهي أن نور الدين رحمه الله وقع في أسره بعض أكابر الملوك من الفرنج خذلهم الله تعالى فقطع على نفسه في فدائه مالا عظيما فشاور نور الدين أمراءه فكل أشار بعدم إطلاقه لما كان فيه من الضرر على المسلمين ومال نور الدين إلى الفداء بعدما استخار الله تعالى فأطلقه ليلا لئلا يعلم أصحابه وتسلم المال فلما بلغ الفرنجي مأمنه مات وبلغ نور الدين خبره فأعلم أصحابه فتعجبوا من لطف الله تعالى بالمسلمين إذ جمع لهم الحسنيين وهما الفداء وموت ذلك اللعين فبنى نور الدين رحمه الله بذلك المال هذا البيمارستان ومنع المال الأمراء لأنه لم يكن عن إرادتهم كان" (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٦)

ومن المشاريع الخدمية التي اهتم نور الدين بإنشائها الخانات(الخانات: ومفردها خان لفظة فارسية الأصل يراد بها منزل التجار أو الفندق الذي يمثل منزل المسافر وقد شملت الخانات المنزلين كليهما)(ابن منظور ، ١٩٩٧،ج١٠، ص٣١٣) في الطرق فأمن الناس وحفظت أموالهم وباتوا في الشتاء في حفظ من البرد والمطر في الشتاء ومن المخاطر (ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ص ٤٦) وعمل على اصلاح الاسواق وتوسيعها وتوسيع طرقها، وبنى الجسور وجدد كثيرا من قني السبيل في مختلف المناطق التي ملكها(ابو شامة، ١٩٩٧،ج١، ٣٢، ٣٣)

ويوجز ابو شامة الكلام في الختام عن كل ذلك بقوله : " وأما ما فعله من المصالح، فإنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها، فمنها دمشق وحمص وحماة وحلب وشيزر وبعلبك وغيرها، وبنى المدارس الكثيرة للحنفية والشافعية، وبنى الجامع النوري بالموصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطرق، وبنى الخانقاهات للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة" (ابن الاثير ، ١٩٩٤،ج٩، ص ٣٩٥)

الخاتمة

ISSN. 1815-8854

*- تعد الروايات التاريخية التي نقلها أبي شامة المقدسي في كتابه (الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية) من الكتب المهمة التي نقلت عن سيرة نور الدين محمود زنكي و من أوسع الكتب التي أرخت لدولته ، وما تخللتها من احداث مختلفة وحروب مع الصليبيين انعكس تأثيرها على مجمل حياته وسيرته .

*- ظهرت المقدرة والحنكة السياسية لنور الدين محمود فيما وجدناه من العناية بجناده وأمراءه والتي تعكس البعد الاداري والحكمة في القيادة وربط ولاياته جميعاً التي يحكمها بنظام اداري دقيق لاسيما بعد اتساعها بحيث يعمل على نقل المعلومة الى المركز بأسرع وقت للاطلاع عليها ومن ذلك ما تم ذكره ،بأنه اتخذ الحمام وسيلة للمواصلات ونقل الاخبار .

*- تميز نور الدين زنكي بعديد من الصفات الشخصية والتي جعلت منه مضرباً للأمثال وتأتي في مقدمة تلك الصفات شجاعته وجهاده ضد الصليبيين إذ يسال الله تعالى أن ينال الشهادة، وكان مع سعة ملكه وكثرة وأموالها يميل إلى التواضع ويتحرى العدل وينصف المظلوم من الظالم كائنا من كان القوى وكان يسمع شكوى المظلوم ويتولى كشف حاله بنفسه ولا يكل ذلك إلى حاجب ولا أمير.

*- عرف عن نور الدين محمود زنكي شدة حرصه على اموال المسلمين والحرص على انفاقه في اوجه خدمتهم العامة وما وجد من مال لديه كان ينفقه على عامة الناس فكان يتصدق به وينفقه على الفقراء وفي عمار المشاريع الخدمية العامة.

*-لم يغفل نور الدين محمود زنكي عن اهمية الجانب العمراني في خضم صراعه مع الصليبيين فكانت له بصمة واضحة يشار اليها بالبنان والتقدير انه في وسط تلك الحروب والصراعات بن وعمرا وانشأ عديداً من المنشأة العمرانية منها ما هو بطابع العسكري ومنها ماهوا مدني خدمي وغير ذلك.

*- حظي التعليم ومؤسساته بقدر كبير من الاهتمام من لدن نور الدين محمود زنكي فنجده يدرك عظمة نشر العلم في بناء عديد من المؤسسات التعليمية التي تعنى بالعلم ونشره من المدارس ودور العلم ومكاتب تعليم الصبيان ومحبة العلماء وأهل الدين والمواظبة على عقد مجالس الوعاظ ويطلب بإحضار الفقهاء وكبار العلماء اليه لحضور مجالس الوعظ .

المصادر والمراجع

١- ابن الأثير ،أبو الحسن عز الدين علي بن مُحَمَّد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).(١٩٩٤). الكامل في التاريخ ، ط٢ ، (تحقيق : عبدالله القاضي) ، بيروت: دار الكتب العلمية.

٢- الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن مُحَمَّد (ت ٦٣٠هـ/١٢٣٢م).(١٩٩٣). التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية بالموصل ، (تحقيق : عبدالقادر أحمد طيلمات)، القاهرة .

٣- ابن ابي اصيبعة ، موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة الخزرجي (ت ٦٦٨هـ/١٢٦٩م). (د. ت).عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، (تحقيق : نزار رضا)، بيروت: دار مكتبة الحياة .

٤- بدران ، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن مُحَمَّد (ت١٣٤٦هـ/١٩٢٧م).(١٩٨٥م). منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، ط٢،(المحقق: زهير الشاويش)، بيروت: المكتب الإسلامي.

ISSN. 1815-8854

٥- ابن بطوطة ،أبو عبدالله مُحَمَّد بن عبدالله الطنجي (ت ٧٧٩هـ/١٣٧٧م).(١٩٩٧). رحلة ابن بطوطة المسماة (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار)، (تحقيق : عبدالهادي التازي) ، الرباط: مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية .

٦- البغدادي، صفي الدين عبد المؤمن بن عبدالحق (ت ٧٣٩هـ/١٣٣٨م). (١٩٩٢). مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع ، ط١، (تحقيق : علي مُحَمَّد البجاوي) ، بيروت: دار الجيل .

٧- البلاذري ، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م).(٢٠٠٠). فتوح البلدان،ط١،(تحقيق : عبدالقادر مُحَمَّد علي)، بيروت.

٨- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن عبدالله (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٩م).(د.ت)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، مصر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي.

٩- ابن جبير، أبو الحسين مُحَمَّد بن أحمد (ت ٦١٤هـ/١٢١٧م).(١٩٦٤). رحلة ابن جبير، تحقيق: مُحَمَّد مصطفى زيادة، بيروت: دار صادر.

١٠- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد (ت ٥٩٧هـ/١٢٠١م).(١٩٩٢). المنتظم في تاريخ الأمم والملوك، ط١،(تحقيق: مُحَمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا)، بيروت: دار الكتب العلمية.

١١- الحميري ، مُحَمَّد بن عبدالمنعم (ت ٧١٠هـ/١٣١٠م).(١٩٨٤). الروض المعطار في خبر الأقطار، ط٢، (تحقيق : إحسان عباس)، بيروت: مكتبة لبنان.

١٢- ابن خلدون، عبد الرحمن بن مُحَمَّد الإشبيلي (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م).(١٩٨٨). تاريخ ابن خلدون المسمى(ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر) ،ط٢، تحقيق: خليل شحادة، بيروت: دار الفكر.

١٣- ابن خلكان ،أبو العباس شمس الدين أحمد بن مُحَمَّد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م).(١٩٧١). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، (تحقيق : إحسان عباس)، لبنان: دار الثقافة .

١٤- الذهبي ، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).(١٩٨٤). العبر في خبر من غبر ، ط٢ ، (تحقيق : د. صلاح الدين المنجد) ، الكويت: مطبعة حكومة الكويت.

١٥- الذهبي ، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).(١٩٨٦). تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، ط١، (تحقيق : عمر عبدالسلام تدمري)، بيروت: دار الكتاب العربي .

١٦- الذهبي ، شمس الدين مُحَمَّد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م).(١٩٩٢). سير أعلام النبلاء ، ط٩ ، (تحقيق : شعيب الأرناؤوط ، مُحَمَّد نعيم العرقسوسي)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

١٧- الزركلي، خير الدين بن محمود بن مُحَمَّد بن علي بن فارس(ت١٣٩٦هـ/١٩٧٦م).(٢٠٠٢). الأعلام، ط١٥، بيروت: دار العلم للملايين.

١٨- السمعاني، أبي سعيد عبد الكريم بن مُحَمَّد ابن منصور التميمي (ت ٥٦٢هـ /١١٦٦م).(١٩٩٨). الأنساب ،ط١، (تحقيق : عبد الله عمر البارودي)، بيروت: دار الفكر.

١٩- السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م).(د.ت). بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ،(تحقيق : مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم)، بيروت: المكتبة العصرية.

ISSN. 1815-8854

٢٠- ابو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم(ت ٦٦٥هـ/١٢٦٦م).(١٩٩٧). الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١،(تحقيق : إبراهيم الزيبق)، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٢١- ابن الشحنة ، أبو الفضل مُحَمَّد محب الدين مُحَمَّد الحنفي (٨٨٤هـ/١٤٧٩م).(١٩٨٤). الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب ، (تحقيق : عبدالله مُحَمَّد درويش)، دمشق: دار الكتاب العربي.

٢٢- ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم بن عتبة الأسدي الموصلي(ت ٦٣٢هـ/١٢٣٤م).(١٩٩٤). النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الأيوبي)،ط٢،(تحقيق: د. جمال الدين الشيال)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

٢٣- ابن شداد، عز الدين مُحَمَّد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٥م).(١٩٨٣). تاريخ الملك الظاهر،(تحقيق : أحمد حطيط) ، بيروت: مطابع مركز الطباعة الحديثة.

٢٤- الصفدي ، صلاح الدين خليل بن أيبك ، (ت ٧٦٤هـ/١٣٦٢م).(٢٠٠٠). الوافي بالوفيات ، (تحقيق : أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى)، بيروت: دار إحياء التراث.

٢٥- الصلابي، عَلي مُحَمَّد، عصر الدولة الزنكية.(٢٠٠٧). ط١،القاهرة: مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة

٢٦- الطباخ الحلبي ، مُحَمَّد راغب.(١٩٨٨).ط٢، علام النبلاء بتاريخ الشهباء ،(تحقيق : مُحَمَّد كمال)، حلب: دار القلم العربي.

٢٧- الطرسوسي، نجم الدين إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ابن عبد المنعم (ت ٧٥٨هـ/١٣٥٦م).(د.ت). تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك، ط٢،(تحقيق: عبد الكريم مُحَمَّد مطيع الحمداوي)، بيروت: دار الطليعة .

٢٨- ابن طولون ، شمس الدين مُحَمَّد بن علي بن أحمد الدمشقي (ت٩٥٣هـ/١٥٤٦م).(١٩٨٠). القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ، (تحقيق : مُحَمَّد أحمد دهمان)، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية.

٢٩- العبري، أبو الفرج غريغوريوس (اسمه يوحنا) بن هارون بن توما الملطي(ت:٦٨٥هـ/١٢٨٦م).(١٩٩٢). تاريخ مختصر الدول، ط٣، (تحقيق: أنطون صالحاني اليسوعي)، بيروت: دار الشرق.

٣٠- العجمي، موفق الدين ابو ذر أحمد بن إبراهيم بن مُحَمَّد بن خليل(ت ٨٨٤هـ/١٤٧٩م). ط١. كنوز الذهب في تاريخ حلب، حلب: دار القلم.

٣١- ابن العديم ،كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله الحلبي (ت ٦٦٠هـ/١٢٦١م).(١٩٩٦). زبدة الحلب في تاريخ حلب، ط١، (وضع حواشيه: خليل المنصور)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٣٢- عشري ، عثمان عبدالحميد.(١٩٨٣). الإسماعيليون في بلاد الشام على عصر الحروب الصليبية (٤٩١-٦٩١هـ/١٠٩٧-١٢٩٠م)،جامعة القاهرة بالخرطوم: المكتبة التاريخية .

٣٣- علي ، مُحَمَّد كرد .(١٩٢٨). خطط الشام،ج٦، دمشق: مطبعة المفيد.

٣٤- العليمي ، مجير الدين الحنبلي (ت ٩٢٧هـ/١٥٢٠م).(١٩٩٩). الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، (تحقيق ج١ : عدنان يونس أبو نباتة ، تحقيق ج٢ : مُحَمَّد الكعابنة)، عمان: مكتبة دينس.

٣٥- ابن العماد الحنبلي، شهاب الدين أبي الفلاح عبدالحي بن أحمد(١٠٨٩هـ/١٦٧٨م).(١٩٩٢). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط،(تحقيق: عبدالقادر الأرناووط ومحمود الأرناووط)،بيروت: دار ابن كثير.

ISSN. 1815-8854

٣٦- العمري ، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م).(٢٠١٠). مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، ط١،(تحقيق: كامل سلمان الجبوري)، بيروت: ، دار الكتب العالمية.

٣٧- عيسى بك ، أحمد.(١٩٨١). تاريخ البيمارستانات في الإسلام ، ط٢ ، بيروت: دار الرائد العربي.

٣٨- الغلامي ، واثق محمد نذير.(٢٠٠٠). الربط والخوانق والبيمارستانات ودورها في التربية ، (مجلة دراسات إسلامية)، العدد (١)، السنة الأولى ، بغداد: بيت الحكمة.

٣٩- ابن قدامة، ابو فرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي(ت ٣٣٧هـ/٩٤٨م).(١٩٨١). الخراج وصناعة الكتابة، ط١، بغداد: دار الرشيد للنشر.

٤٠- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن كثير القريشي (ت ٧٧٤هـ/١٣٧٢م).(١٩٨٨). البداية والنهاية، ط١، (تحقيق :علي شيري)، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

٤١- ابن كنان ، محمد بن عيسى بن كنان الصالحي الدمشقي(ت ١١٥٣هـ/١٧٤٠م).(١٩٩٣).المواكب الإسلامية في الممالك والمحاسن الشامية ،(تحقيق : حكمت إسماعيل)، دمشق: منشورات وزارة الثقافة.

٤٢- ابن المستوفي ، المبارك بن أحمد بن المبارك الإربلي(ت٦٣٧هـ/١٢٣٩م).(١٩٨٠). تاريخ إربل، (تحقيق: سامي بن سيد خماس الصقار)، العراق: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للنشر.

٤٣- ابن منظور، محمد بن مكرم المصري(ت٧١١هـ/١٣١١م).(١٩٩٧).لسان العرب، ط١، بيروت: دار صادر.

٤٤- النعيمي ،عبدالقادر بن محمد الدمشقي (ت ٩٧٨هـ/١٥٧٠م).(١٩٩٠). الدارس في تاريخ المدارس، ط١،(المحقق: إبراهيم شمس الدين)، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٥- ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن نصر الله المازني (ت ٦٩٧هـ/١٢٩٨م).(١٩٧٢). مفرج الكروب في مناقب بني أيوب ، (تحقيق: الدكتور حسنين محمد ربيع)، القاهرة: مطبعة دار الكتب.

٤٦- ياقوت الحموي، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله البغدادي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).(١٩٩١). معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب ، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية.

٤٧- ياقوت الحموي ، أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموري البغدادي(ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م).(١٩٧٧). معجم البلدان، بيروت: دار صادر.

مجلة دراسات موصلية

مجلة دورية علمية محكمة، تعنى ببحوث الموصل الاكاديمية في العلوم الانسانية

ISSN. 1815-8854